تقديم فضيلة الشيخ

د. صالح بن فوزان بن عبدالله الفوزان

قل
يا أهل
الكتاب
لا تغلوا في دينكم غير
الحق ولا تتبعوا أهواء قوم
قد ضلوا من قبل وأضلوا كثيرا
وضلوا عن سواء السبيل



كتبه

علي بن عبدالعزيز بن علي الشبل

عفا الله عنه ووالديه ومشايخه والمسلمين

الغلو في الدين

نشأته - موقف الإسلام منه - مسائله - آثاره ...

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر
الشبل، علي بن عبدالعزيز
الغلو في الدين: نشأته، موقف الإسلام منه؛ مسائله.- الرياض
١٢٠ ص؛ ١٧ x ٢٤ سم.
ردمك: ٢-٠٩٤-٢٨-٩٩٦٠
١- الإسلام - دفع مطاعن ٢- الفرق الإسلامية
٣- الغلو في الإسلام
أ- العنوان
ديوي ٢٤٥ ١٧/٢٥٧٨

رقم الإيداع: ١٧/٢٥٧٨
ردمك: ٢-٠٩٤-٢٨-٩٩٦٠

الطبعة الأولى
١٤١٧هـ

دار الشبل
الرياض ١١٤١٥ - ص.ب ٦٣١٢٨ فاكس ٢٤١٧٦٨٨

الغلو في الدين

نشأته - موقف الإسلام منه - مسائله - آثاره ...

كتبه

علي بن عبدالعزيز بن علي الشبل

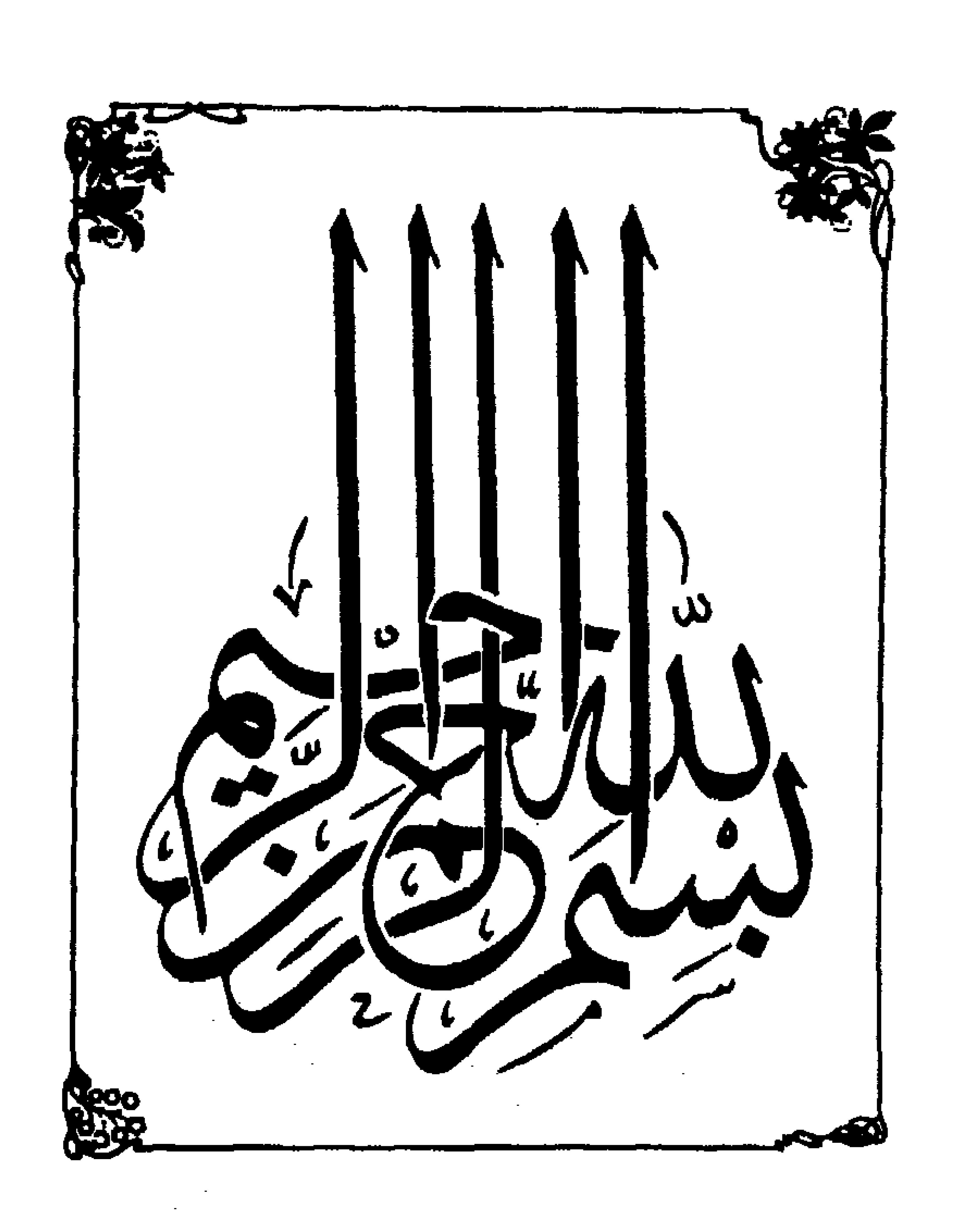
عفا الله عنه ووالديه ومشائخه والمسلمين

تقديم فضيلة الشيخ

صالح بن فوزان الفوزان

دار الشبل

الرياض ١١٤١٥ - ص.ب ٦٣١٢٨ فاكس ٢٤١٧٦٨٨


بسم الله الرحمن الرحيم

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

تقديم فضيلة الشيخ

د. صالح بن فوزان الفوزان

مدير المعهد العالي للقضاء بجامعة الإمام بالرياض سابقاً

وعضو اللجنة الدائمة للبحوث العلمية والإفتاء بالمملكة العربية السعودية،

وعضو هيئة كبار العلماء

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد وآله وصحبه ومن والاه، وبعد:

فإن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله ﷺ وأتباعه بالاستقامة على أمره من غير غلو ولا تقصير؛ فقال سبحانه: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟﴾ كما حذر من قبلنا من الغلو في الدين فقال سبحانه: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾، والاستقامة معناها: الاعتدال على شرع الله، والغلو معناه: الزيادة في التدين عما شرعه الله، سواء كان غلوّاً في الأشخاص، أو في العبادة، أو في الأحكام؛ لأن الغلو يفضي إلى الخروج من الدين، وينفر المدعوين، ويشوه الإسلام.

وفيما حصل من غلو الخوارج وما ترتب عليه من ويلات شوهت وجه التاريخ خير عبرة وعظة، فقد وقع ما أخبر به النبي ﷺ من شأنهم وما بينه من صفاتهم ليحذر الاغترار بهم كل مؤمن. وكذلك الغلو في الأشخاص أو في القبور آل بأصحابه إلى الشرك بالله عز وجلّ كما حصل لقوم نوح لما غلوا في الصالحين؛ ودّ وسواع ويغوث ويعوق ونسر، وكما حصل لمن غلا في الصالحين من هذه الأمة أو غلا في قبورهم من الشرك بالله عزّ وجلّ، وربما جرّ الغلو في الأحكام

إلى تحريم ما أحل الله وتغيير شرع الله. وربما جر إلى تكفير الأمة والأفراد من المؤمنين، وربما سبب الملل من العبادة والمشقة على النفس حتى تترك العبادة وتنفر منها كما قال النبي ﷺ: «**إن المنبت لا أرضاً قطع ولا ظهراً أبقى**».

وفي هذا الكتاب الذي بين أيدينا بعنوان: «الغلو في الدين، حقيقته، موقف الإسلام منه، مسائله، آثاره» **لفضيلة الشيخ: علي بن عبد العزيز الشبل - معلومات قيمة عن هذا الداء الخطر، وبيان ضرره والتحذير منه. فجزاه الله خيراً على ما كتب وقدم من نصح ونفع به.** إنه سميع مجيب.

وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه.

وكتبه

صالح بن فوزان

١/٦/ ١٤١٧هـ

التقديم

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلاّ الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ﷺ وعلى آله وصحبه وسلم تسليماً، أما بعد:

فقد ثبت في الصحيح عن حذيفة رضي الله عنه أنه قال: كان الناس يسألون النبي ﷺ عن الخير وكنت أسأله عن الشر مخافة أن أقع فيه... الحديث. ويقول الناس في أمثالهم: «الزيادة أخت النقصان»، بل ربما يكون ضرر الغلو والزيادة على الدين وصاحبه أشد وأعظم من ضرر النقص والتقصير؛ لذا حذرنا المولى سبحانه وتعالى، وحاذرنا الغلو في الدين في آيات كقوله من آخر سورة النساء: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ الآية [النساء: ١٧١]، وكقوله في سورة المائدة: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٧٧﴾﴾ [المائدة: ٧٧].

كما نهانا سبحانه عن طريق الطغيان في غير ما آية: منها قوله من آخر سورة هود: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود: ١١٢].

ومن السنّة في النهي عنه ما خرجه البخاري في صحيحه من حديث أبي هريرة مرفوعاً إلى النبي ﷺ قوله: **«إن هذا الدين يُسر ولن يُشاد الدين أحدٌ إلاّ غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»** وفي رواية أخرى زاد **«والقصد القصد تبلغوا»**.

وحديث ابن عباس المشهور في جمع حصى الجمار قوله ﷺ له: **«إياكم**

والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين» رواه أحمد وبعض أهل السنن.

وفي هذا ما وصف عبد الله بن مسعود رضي الله عنه أصحاب محمد ﷺ حيث قال لما رأى ما أُحدث من الأمور: «... أيها الناس، من كان منكم مستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحي لا تؤمن عليه الفتنة. أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً، وأقلها تكلفاً. قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا فيما استطعتم من دينهم وأخلاقهم فإنهم كانوا على الهدى المستقيم».

لهذا كله، ولما جرّه الغلو على المسلمين في دينهم، قولاً وعملاً، وقبل ذلك اعتقاداً وواقعاً وفكراً ومنهجاً، منذ عهد الصحابة رضي الله عنهم مروراً بفترات تاريخنا المختلفة إلى عصرنا المشهود، وما جره ذلك من الأخطار العظيمة، والمصائب الجسيمة، والمناهج المتباينة على حياتهم وأحوالهم العلمية والفكرية والاجتماعية والسياسية، وقبل ذلك وبعده الحال الدينية، من الغلو في العبادة والغلو في المعصية، وفي البدعة، والغلو في العادة...

ولما رأيت من الخلط العجيب بين التمسك بالدين والتزامه وبين دعوى الغلو والتطرف والأصولية، وهو الناشىء من الجهل بأحدهما أو بهما معاً، وعدم العود بالغلو إلى أصوله الحقيقية وأسبابه الواقعية التي منها نشأ وتفرع في صور عديدة بين المسلمين وغيرهم.

رأيت المشاركة في هذه القضية بهذا المختصر، الذي جمع ثلاثة فصول:

الفصل الأول منها: حدّ الغلو وحقيقته، وتأريخه ونشأته، وعلاقته بالأمم قبلنا، وأسبابه، وما ورد في الشرع الحنيف من التحذير منه وذمّه.

وفي الثاني: أنواعٌ من مجالات الغلو عند المسلمين: في صفات الله وأسمائه، وقضائه وقدره، والغلو في ذوات الأشخاص، وفي باب النبوة، والأسماء والأحكام، ثم الغلو في الصحابة وآل بيت النبي ﷺ، ببيان الغلو في طرفي الأمر: إفراطاً وتفريطاً.

وفي الثالث: بذكر وسطية أهل السنّة والجماعة وأثرها وبعضٍ من آثار الغلو،

وعلاجه، متضمناً نماذج من طريقة سلفنا الصالح في ذلك.

هذا مجمل محتواه، فإن أصبت فيه فمن توفيق ربي وهدايته، وإن كان غير ذلك فمني ومن الشيطان، وأعوذ بالله منه، وأستغفر الله وأتوب إليه، وأشكر هاهنا مشائخ كراماً تفضلوا بالاطلاع على المختصر وسددوه وأوصوا بطبعه ونشره[1]، فجزاهم المولى خير الجزاء وأوفره.

والله أسأل أن يهدينا سواء السبيل، وأن يعيذنا من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا ومن نزغات الشياطين، وأن ينفع بهذا المختصر من كتبه وقرأه ونشره، وضال المسلمين وجاهلهم، وأن يجعله لوجهه خالصاً، وللزلفى لديه مقرباً، ولمرضاته محققاً، ومن عذابه وسخطه مخلصاً.

اللهم صلِّ على محمد وعلى آله وصحبه ومن اقتفى أثرهم، واتبع هديهم، وسلم تسليماً، والحمد لله ربِّ العالمين، الذي بنعمته تتم الصالحات.

---

(١) فقد عرضه سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز مع بحث آخر عن «الانحرافات الوثنية اليونانية وآثارها» على فضيلة الشيخ صالح الفوزان، كما في خطابه الملحق بآخره، وأوصيا بطبعه ونشره، لأهمية موضوعه، وعظم خطره وأثره، كما رغب سماحته في نشرهما في مجلة «البحوث الإسلامية» الصادرة عن الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء بالمملكة، كما اطلع عليها مشائخ آخرون. فقد كان الفراغ منه في ١١/٥/ ١٤١٠هـ في الرياض أعزها ربي.

الفصل الأول

وفيـه:

أولاً : حد الغلو.

ثانياً : تاريخ الغلو ونشأته عند المسلمين.

ثالثاً : أسباب نشأة الغلو في الدين.

رابعاً : النصوص الواردة في التحذير من الغلو وذمه. «موقف الإسلام منه».



أولاً: حدّ الغلو

وذلك بالرجوع إلى المصادر والمعاجم اللغوية حيث تبيَّن أن الغلو هو: مجاوزة الحد وتعديه.

* قال الجوهري في الصحاح:

«غلا في الأمر يغلو غلواً، أي جاوز فيه الحد» اهـ.

* وقال الفيروز آبادي في القاموس:

«غلا غلاءً فهو غالٍ وغَلِيّ ضد الرخص.. وغلا في الأمر غلواً جاوز حدّه» اهـ.

* ووافقه الزبيدي في تاج العروس.

* وقال ابن منظور في اللسان:

«... أصل الغلاء: الارتفاع ومجاوزة القدْر في كل شيء... يقال: غاليت صداق المرأة أي أغليته. ومنه قول عمر رضي الله عنه: «ألا لا تغالوا في صدقات النساء» وفي رواية: «لا تغالوا في صدق النساء». أي لا تبالغوا في كثرة الصداق.

وغلا في الدين والأمر يغلو غلواً، جاوز حدّه.

قال: قال بعضهم: غلوت في الأمر غُلوّاً وغلانيةً وغلانياً إذا جاوزت فيه الحد وأفرطت فيه، ويُقال للشيء إذا ارتفع: قد غلا.

قال ذو الرمة:

فما زال يغلو حبُّ ميَّةَ عندنا ويزداد حتى لم نجد ما نزيدها» اهـ.

* وقال الفيومي في المصباح المنير:

«.. وغلا في الدين غُلوّاً من باب قعد وتصلب وتشدد حتى جاوز الحد وفي

التنزيل: ﴿لَا تَغْلُوا فِي دِينِكُمْ﴾[1] وغالى في أمره مغالاة بالغ»[2] اهـ.

* وقال ابن فارس في المعجم:

«غلوى: الغين واللام المعتل أصل صحيح في الأمر يدل على ارتفاعٍ ومجاوزة قدرٍ، يُقال: غلا السعر يغلو غلاً وذلك ارتفاعه، وغلا الرجل في الأمر غُلوّاً إذا جاوز حدّه» اهـ. وكذا نحوه في المجمل[3].

** فمما سبق يتبين أن الغلو في سائر استعمالاته يدل على الارتفاع والزيادة ومجاوزة الأصل الطبيعي أو الحدّ المعتاد.

ومنه قوله ﷺ في حديث أبي ذر: «. . . أي الرقاب أفضل قال: «**أغلاها ثمناً وأنفعها عند أهلها**»[4] متفق عليه.

وحديث النعمان بن بشير رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «**أهون أهل النار عذاباً يوم القيامة رجل على أخمص قدميه جمرتان يغلي منه دماغه كما يغلي المرجل**»[5] متفق عليه.

* فغلا الثمن: إذا ارتفع وزاد سعره.

* وغلت القدر: إذا زادت حرارتها وارتفعت.

* وغلا في مشيه: إذا أسرع وزاد فيه.

* وتغالى اللحم: ارتفع وذهب، ومنه قول لبيد بن أبي ربيعة:

فإذا تغالى لَحْمُها وتحسَّرت ... وتقطَّعت بعد الكلالِ خِذامُها

وهكذا غالباً فإن معنى الغلو الزيادة والارتفاع، سوى بعض اشتقاقاتها التي توضع علماً على شيء معين فمظانها كتب المعاجم اللغوية.

---

(١) هذا جزء من آية النساء ١٧١ والمائدة ٧٧.

(٢) كلهم في مادة غلا.

(٣) في المجمل مادة غلا والمعجم مادة غلوى.

(٤) رواه البخاري في كتاب العتق ـ باب أي الرقاب أفضل، ورواه مسلم في كتاب الإيمان ـ باب كون الإيمان بالله أفضل الأعمال رقم ٨٤.

(٥) رواه البخاري في كتاب الرقاق ـ باب صفة الجنة والنار، ومسلم في كتاب الإيمان ـ باب أهون أهل النار عذاباً رقم ٢١٣.

* فعليه: الحدّ اللغوي لكلمة غلو هو: الزيادة ومجاوزة الحد المألوف.

حقيقة الغلو:

لما كان المعنى الاصطلاحي يقوم على المعنى اللغوي، ويخصص عموم إطلاقه، رجعنا إلى النصوص الواردة في الغلو من الكتاب والسّنة.

فمن الكتاب:

قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ وَلَا تَقُولُوا۟ عَلَى ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْحَقَّ﴾ [النساء: ١٧١]. وقوله تعالى في سورة المائدة: ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعُوٓا۟ أَهْوَآءَ قَوْمٍ قَدْ ضَلُّوا۟ مِن قَبْلُ وَأَضَلُّوا۟ كَثِيرًا وَضَلُّوا۟ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ۝٧٧﴾ [المائدة: ٧٧].

ـ فقد قال القرطبي في تفسيره ٦/ ٢١ لما ذكر المعنى اللغوي:

«ويعني بذلك فيما ذكره المفسرون: غلو اليهود في عيسى حتى قذفوا مريم، وغلو النصارى فيه حتى جعلوه ربّاً، فالإفراط والتقصير كله سيئة وكفر. ولذلك قال مُطرّف بن عبد الله الشخير: الحسنة بين سيئتين. وقال الشاعر:

لا تغل في شيء من الأمر واقتصد ... كلا طرفي قصد الأمور ذميم»اهـ.

ـ وكذا قال جمع من المفسرين منهم: ابن جرير في جامعه ٤/ ٤٦، والبغوي في معالم التنزيل ٢/ ٣١٣، وابن كثير في تفسيره ١/ ٥٨٩، وأبو حيان في بحره ٣/ ٤٠٠، والزمخشري في كشّافه ١/ ٣١٥، وابن طيفور السجاوندي (٥٦٠هـ) في عين المعاني ٤/ ١٣٤٨، وعبد الرحمن العليمي الحنبلي (٩٢٨هـ) في فتح الرحمن ٢/ ٧٥٥، وصديق حسن خان في فتح البيان ٢/ ٤١٥، والشوكاني في فتح القدير ١/ ٥٤٠، ومحمد رشيد رضا في تفسيره ٦/ ٦٧، وعبد الكريم الخطيب في تفسيره ص ١١٠٧ (وإن كان القول عند بعضهم محتمل)، وحكى ابن الجوزي في زاد المسير ٢/ ٢٦٠، والماوردي (٤٥٠هـ) في تفسيره ص ١١٠٦، وذكر اختلاف العلماء في تفسير الآية بذكر قول من خصص الآية بالنصارى وحدهم، وهو الذي عليه جمع من المفسرين، وفي بعض من سبق الإحالة إليهم.

فالذي أفهمه من هذه الآية: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُوا۟ فِى دِينِكُمْ﴾ عمومها لجميع أهل الكتاب من يهود ونصارى؛ إذ العبرة بعموم اللفظ ودلالة السياق تدل

عليه أيضاً، فإن النصارى زادوا وجاوزوا الحدّ في نبي الله عيسى فرفعوه عن منزلته، وإن اليهود جفوا وفرطوا في حقه فغلوا في الجفاء والتفريط وزادوا فيهما، حتى قذفوا أمّه الطاهرة العذرية، بما برأها الله تعالى منه.

ومن احتج على خصوص الآية بالنصارى بتقدم سياق الآيات السابقة لها في اليهود، وهذه الآية آخرها يدل على قول النصارى وكفرهم، وزعمهم بالأكاذيب الثلاثة، فيجاب عليه بما سبق من عموم لفظة أهل الكتاب، وانطلاقه إلى اليهود والنصارى ما لم توجد قرينة ولم توجد، وباستمرار السياق في بني إسرائيل في هذه الآية وما قبلها يدل على العموم من اليهود والنصارى؛ إذ كل منهم غلا في دينه كما سيأتي تحديد الغلو، وقول كل منهم على الله غير الحق، فليس عيسى رباً أو ابناً لله، أو ثالث ثلاثة ـ وليس هو ابن فُحش وزنا وبغاء.

ثم إن آخر الآية يختص بالنصارى من قول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقُولُوا۟ ثَلَٰثَةٌ﴾ وذلك لعظم جرمهم في التوحيد، لأن عيسى نبيهم وهاديهم إلى الفطرة السليمة والملّة القويمة، وأنهم هم من ادعوا فيه تلك الدعوى الظالمة، فكان آخر الآية مخصوصاً بالنصارى لذلك.

وقال سبحانه وتعالى في آيات عديدة جاءت في النهي عن الطغيان وهو غلو في الغي كما قال تعالى في آخر سورة طه لبني إسرائيل: ﴿وَلَا تَطْغَوْا۟ فِيهِ فَيَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبِى﴾ [طه: ٨١]، وقوله عن فرعون وملئه في غير ما آية: ﴿ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النازعات: ١٧]، وقال عن الخاسر صاحب الجحيم: ﴿فَأَمَّا مَن طَغَىٰ ﴿٣٧﴾ وَءَاثَرَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا ﴿٣٨﴾﴾ [النازعات: ٣٧، ٣٨] الآية، وقال في آخر سورة هود: ﴿فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا۟ ۚ إِنَّهُۥ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١٢﴾﴾ [هود: ١١٢].

ومن السنّة:

* ما رواه الأربعة من قول عمر: «ألا لا تغالوا في صُدق النساء»(١).

* ولما رواه أبو داود عن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال: قال رسول

---

(١) رواه أبو داود في كتاب النكاح ـ باب الصداق، والترمذي باب ما جاء في مهور النساء، والنسائي في باب القسط في الأصدقة، وابن ماجه في باب صداق النساء رقم ١٨٨٧. وكلهم في كتاب النكاح.

الله ﷺ: «لا تغالوا في الكفن، فإنه يسلبه سلباً سريعاً»[1].

* فقد قال صاحب المنهل العذب المورود ٨/ ٣١٣ـ ٣١٤:

«أي لا تبالغوا في ثمنه، ولا تجاوزوا الحد الشرعي فيه. فإن الكفن يبلى على الميت سريعاً فلا ينتفع به، والمغالاة في إضاعة المال. . . .

قال: باب كراهية المغالاة في الكفن: «أي الزيادة عن الحد الشرعي، ويقال: غاليت في الشيء وغلوت فيه إذا جاوزت فيه الحد. . .» اهـ. قال البيهقي: وهو ضعيف فيه عمرو بن هشام تكلموا فيه.

وكذا قال نحوه في عون المعبود ٨/ ٤٢٩ـ ٤٣٠: وضعَّف إسناده ونقل عمَّن ضعفه.

* ومما ورد في السنّة أيضاً: ما رواه أحمد بإسناده عن عبد الرحمن بن شبل قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اقرأوا القرآن ولا تغلوا فيه، ولا تجفوا عنه، ولا تأكلوا به. . .»[2].

* وحديث ابن عباس رضي الله عنه قال: قال لي رسول الله ﷺ غداة العقبة وهو على ناقته: «القط لي حصى»، فلقطت له سبع حصيات هن حصى الخذف، فجعل ينفضهن في كفه ويقول:

«أمثال هؤلاء فارموا، ثم قال: يأيها الناس إياكم والغلو في الدين؛ فإنه أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين». رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وغيرهم[3].

---

(١) الفتح الرباني ١٨/ ٢٨.

(٢) رواه أبو داود في كتاب النكاح ـ باب الصداق، والترمذي باب ما جاء في مهور النساء، والنسائي في باب القسط في الأصدقة، وابن ماجه في باب صداق النساء رقم ١٨٨٧. وكلهم في كتاب النكاح.

(٣) رواه أحمد في المسند كما في الفتح الرباني ١٢/ ١٦٩، كتاب الحج والعمرة ـ باب سبب مشروعية رمي الجمار وحكمها، ورواه النسائي ـ كتاب المناسك ـ باب قدر حصى الخذف، وكذا ابن ماجه في باب التقاط الحصى.

ورواه الحاكم في مستدركه ١/ ٤٦٦، وقال: حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ووافقه الذهبي في تلخيصه عليه.

وقال النووي في المجموع ٨/ ١٢٧: صحيح رواه البيهقي بإسناد حسن صحيح وهو =

* وفي حديث أبي هريرة في البخاري مرفوعاً: **«لن ينجي أحداً عمله»**، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: **«ولا أنا إلاّ أن يتغمدني الله برحمته، سددوا وقاربوا، واغدوا وروحوا، وشيء من الدلجة، والقصد القصد تبلغوا»**[1].

** فمما سبق يتبين أن الكتاب والسنّة يخصصان عموم اللغة، وأن الغلو هو: «الإفراط في مجاوزة المقدار المُعتبر شرعاً في أمر من أمور الدين».

فالنصارى جاوزوا المقدار المُعتبر في حق عيسى عليه السلام، وأنه عبد الله ورسوله، وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه، فأفرطوا إلى القول بألوهيته وربوبيته.
واليهود جفوا في حقه فزادوا في التفريط تجاوزاً بلغ الغلو فيه إلى القول بأنه ابن زنا وبغي، وقذفوا أمه؛ فهم غلاة في جفائه.

وكذلك حال المُعطلة الذين غلوا في التنزيه فأفرطوا، وحال المشبّهة الذين غلوا وزادوا في الإثبات حتى غلوا في الإثبات. وسيأتي الكلام عليهم في موضعه إن شاء الله، وعلى هذا فقس.

علاقة الغلو بالإفراط والتطرف:

الغلو في الحقيقة أعلى مراتب الإفراط في الجملة. فالغلو في الكفن هو المغالاة في ثمنه والإفراط فيه.

والغلو أخصّ من التطرف؛ إذ إن التطرف هو مجاوزة الحدّ والبعد عن التوسط

= على شرط مسلم رواية عبد الله بن عباس عن أخيه الفضل.
ورواه النسائي وابن ماجه بإسنادين صحيحين، إسناد النسائي على شرط مسلم... اهـ.
وذكره ابن حجر في التلخيص الحبير ٧/ ٣٨٧ حيث حقق من كان رديف النبي ﷺ والتقط له الحصى: عبد الله أم الفضل، وصوّب أنه الفضل ـ وهو تحقيق نفيس، وكذا كلام النووي السابق، وفي فتح الباري ١٣/ ٢٩١: ... وصححه ابن خزيمة وابن حبان والحاكم من طريق أبي العالية عن ابن عباس.
وقال شيخ الإسلام في الوصية الكبرى: هو حديث صحيح. ونقل عنه الشيخ صالح البليهي رحمه الله «السلسبيل في معرفة الدليل ١/ ٣٦٧» أنه قال: على شرط مسلم، ولم أقف عليه.

(١) رواه البخاري في كتاب الرقاق بهذا اللفظ، باب القصد والمداومة على العمل. وأخرجه أيضاً الإمام مسلم في صحيحه في كتاب صفات المنافقين ـ باب لن يدخل الجنة أحد بعمله برقم ٢٨١٦.

والاعتدال إفراطاً أو تفريطاً، أو بعبادة أخرى: سلباً أو إيجاباً، زيادة أو نقصاً، سواء كان غلواً أم لا، إذ العبرة ببلوغ طرفي الأمر، وسبق الغلو في قول القائل:

لا تغل في شيء من الأمر واقتصد ... كلا طرفي قصد الأمور ذميم

فالغلو أخص من التطرف باعتبار مجاوزة الحد الطبيعي في الزيادة والنقص، في حال النقص يسمى غلواً إذا بالغ في النقص، فيقال: غلا في النقص، كما سبق في قول اليهود في المسيح ابن مريم عليهما الصلاة والسلام. وكذلك في الزيادة إذا بالغ فيها كقول النصارى في المسيح ابن مريم.

والتطرف: الانحياز إلى طرفي الأمر، فيشمل الغلو، لكن الغلو أخص منه في الزيادة والمجاوزة، ليس فقط بمجرد البعد عن الوسط إلى الأطراف. أو بمعنى آخر: كل غلو فهو تطرف، وليس كل تطرفٍ غلواً.

*** الفرق بين الاستقامة على الشريعة والغلو:**

في الواقع لا تلازم بين التمسك بالنصوص والغلو؛ فقد كان الصحابة رضي الله عنهم أشدَّ الناس تمسكاً والتزاماً لنصوص الشريعة مطلقاً، ومع هذا لم يحصل لهم غلو أو تشديد - إلاّ في قضايا عينية في حياة النبي ﷺ أرشد عليه الصلاة والسلام أصحابه إليها[1] وعلّمهم وبيّن لهم طريق العبادة المعتدل، فانتهوا.

وسببه هو موافقة هذا الالتزام منهم رضي الله عنهم لعلم صحيح، وفهم سليم، وهمة حريصة على العلم والبصيرة، فنجوا من الغلو فضلاً عن الاستمرار فيه، لكن ما بعد الناس عن زمان الأفاضل، وصار الدين غريباً، وأطبق الجهل على كثير من أهل الإسلام، صار المتمسك بسنّة المصطفى ﷺ العاضُّ عليها بنواجذه،

---

(١) كقصة عبد الله بن عمرو بن العاص في إطالة الصوم، المتفق عل صحتها. رواها البخاري في كتاب فضائل القرآن، باب كم يقرأ من القرآن، ومسلم في كتاب الصيام، باب النهي عن صوم الدهر لمن تضرر به، رقم ١١٥٩، كحديث عبد الله بن الشخير في وفد بني عامر وفيه «فقلنا: أنت سيدنا. فقال: السيد الله تبارك وتعالى». فقلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً فقال: «قولوا بقولكم أو ببعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان» رواه أبو داود والنسائي بأسانيد جيدة. وما قوله عليه السلام ذلك إلاّ سداً لطريق الغلو فيه، انظر: فتح المجيد ٥١٧.

منبوذاً مستهزءاً به في تلك المجتمعات، وأطلقوا عليه عبارات النبز كالمتزمتين والغالين والمتطرفين والأصوليين... ونحوها من الألقاب التي روجتها بعض وسائل الإعلام.

والواقع أن التمسك بنصوص الكتاب والسنّة، وفهمها فهماً صحيحاً، يعتبر عند هؤلاء المتهاونين بأحكام الشريعة الغافلين عنها، غلواً وتطرفاً، وذلك بالنظر إلى ما هم عليه من تفريط ظاهر، وقصور في التزام منهج الإسلام، جليٌ ملموس.

ولنأخذ مثالاً يوضح ما سبق: فدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية اتُهمت من كثير من الناس ـ علماء وغيرهم ـ بتكفير الناس ـ الذي هو مظهر من مظاهر الغلو البارزة ـ أو أنهم خوارج.... ونحوها من ألقاب تفيد مجاوزة اعتدال الإسلام وسماحته، ينبزونهم بألفاظ هي في الشريعة وصف لأقوام متشددين لا فقه لهم ولا نظر[1] وهي من ذلك براء براءة الذئب من دم يوسف عليه السلام، لكن ما حيلة من شرق بها إلاّ ذلك.

والملاحظ أن المتمسكين بمدلولات النصوص الشرعية يكونون غلاة متشددين بنسبتهم إلى المفرطين الذين يحملون الإسلام وصفاً، وعند نسبتهم إلى ميزان الشريعة لم نجد عندهم معنى التمسك المطلوب، وهو الالتزام بأحكام الكتاب والسنّة.

فالمقصرون يلمزون المتمسكين بالغلو والتطرف على أن ما هم عليه هو اعتدال الإسلام وتوسطه، وما أظهروه هو الاعتدال، وهو في الحقيقة ليس كذلك؛ إذ هو التقصير والتفريط في بعض شعائر الإسلام وأحكامه، ولا يخفى أن من يتهم البعض بالتطرف أو الغلو، غايته التنفير والتحذير منهم وليس لكونهم متجاوزين لحدود الشريعة ووسطية الإسلام كمن اتهم دعوة الشيخ السلفية الإصلاحية بذلك.

أعني أن هذه الدعاوى ليست من باب الأسماء والأحكام، أو لتبين معاني شرعية ـ بقدر ما هي لأغراض وأهواء ذاتية أو محدودة. فتكون بذلك من تحميل مصطلحات الشارع ما لا تحتمل، ومن استعمال المعاني الشرعية في الأغراض

---

(١) انظر الشبهات التي أثيرت حول دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب ـ وفيها بحث د. عبد الرحمن عميرة وغيره في: أسبوع الشيخ محمد. المجلد الثاني. وكذا المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب للدكتور العبد اللطيف.

الشخصية الضيقة والغايات السياسية المحدودة!

وإتماماً للمقام أتعرض لبعض المصطلحات الشائعة، والتي لها علاقة بوجه أو بآخر بمفهوم الغلو، وهي مصطلحات: التطرف، والإرهاب، والعنف الديني:

*** معنى التَّطرُّف:**

التطُّرف هو تفُّعل - بتشديد العين - من طرف يطرف طَرَفاً بالتحريك، وهو الأخذ بأحد الطرفين والميل لهما: إما الطرف الأدنى أو الأقصى[1]، ومنه أطلقوه على الناحية وطائفة الشيء.

ومفهوم التطرف في العرف الدارج - في هذا الزمان - يُطلق على الغلو في عقيدة أو نكرة أو مذهب أو غيره، ولهذا لا يختص به دين أو جماعة أو حزب.

ولهذا فالتطرف يُوصف به طوائف من اليهود ومن النصارى، فثمة أحزاب يمينية متطرفة أو يسارية متطرفة. فقد وصفت بالتطرف الديني والحركي والسياسي.

ووصف الغلو بالتطرف له وجه المسوغ له بأخذ أحد الطرفين، كما قال الأول:

لا تغلُ في شيء من الأمر واقتصد　　　كلا طرفي قصد الأمور ذميمٌ

ولكن الوصف الشرعي للتشدد في الدين والغلو فيه يجب أن يكون مرجعه إلى الشرع نفسه لا اصطلاح الناس ومفاهيمهم واطلاقاتهم. فوصف الغلو والغلاة والمغالي هو الوصف الشرعي، كما دل عليه حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال في الحج: «**أمثال هؤلاء فأرموا، وإياكم والغلو في الدين، فإنما أهلك من كان قبلكم الغلو في الدين**» رواه أحمد وابن ماجه والحاكم وصححه[2].

*** معنى الإرهاب:**

وهو أيضاً مصدر مأخوذ من رَهب كعلم يرهب رهباً ورهباباً وأرهاباً بالفتح والكسر، وهو الإضافة والتخويف[3].

---

(١) انظر «القاموس المحيط»، و«شرح تاج العروس» و«لسان العرب» و«معجم مقاييس اللغة» و«الصحاح» و«المصباح المنير» مادة (طرف).

(٢) مضى تخريجه في أول التمهيد.

(٣) انظر «القاموس»، و«شرح تاج العروس» و«لسان العرب» و«الصحاح» و«المصباح المنير» و«معجم مقاييس اللغة» مادة (رهب).

حيث يدور معنى الإرهاب على شدة الخوف والتخويف إن كان على الفرد أو على الجماعة وهو في حقيقته وحكمه نوعان:

١ ـ إرهاب مشروع بصريح القرآن في آية الأنفال في قوله تعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُوا مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾ ۞ وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ [الأنفال: ٦٠ ـ ٦١]، فإن إضافة العدو الكافر المعاند لدعوة الله بالجهاد في سبيل الله وإرجافه بالعدة والقوة من مقاصد الجهاد الإسلامي، ليكف شره، وينتهي عن ظلمه، ولعله أن يهتدي إلى دين الله عز وجل. وهذا بحكم خاص بالمحاربين من الكفار أو البغاة.

٢ ـ إرهاب غير مشروع، بل هو محرم وممنوع، وهو في تخويف الآمنين بإرهابهم وإدخال الرعب والفزع فيهم، سواء كانوا مسلمين أو مستأمنين أو معاهدين أو أهل ذمة أو غيرهم من الكافرين غير المحاربين، فهو على المسلمين حرابه وعلى غيرهم ظلم، وهو في الجميع إفساد في الأرض، ما جاء النهي صريحاً في القرآن والسنة وفي إجماع العلماء. فمناط ذلك على الظلم، حيث تخويف الآمن وإرهابه ظلم واعتداء، وهو محرم بإجماع الملل والشرائع السماوية. فقد روى الإمام أحمد وغيره بإسناد صحيح عن أبي ذر رضي الله عنه يرفعه إلى النبي ﷺ أنه قال: **«قال الله عز وجل: يا عبادي إني حرمت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرماً فلا تظالموا»**.

وفي صريح القرآن قوله تعالى في آية الحرابة من سورة المائدة: ﴿إِنَّمَا جَزَاؤُا الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَن يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُم مِّنْ خِلَافٍ أَوْ يُنفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَٰلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ ﴿٣٣﴾﴾، وقوله تعالى في سورة يونس: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَٰكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٤٤﴾﴾، وقوله في سورة الممتحنة: ﴿لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ﴿٨﴾﴾، هذا فضلاً عما ورد من أدلة شريفة في وجوب

الوفاء بالعهد وإيتاء الوعد، وتحريم قتل النفس بغير حق، وتحريم قتل المرأة والوليد والراهب والشيخ الكبير من الكفار.

تحديد مصطلح الإرهاب المعاصر:

وقد صدر في تحديده بيان عن مجمع الفقه الإسلامي في رابطة العالم الإسلامي بمكة في دورته السادسة عشرة، المنعقدة في شوال من عام ١٤٢٣ هـ بمكة المكرمة حيث حدَّدوا الإرهاب بتحديد سبقوا به جهات عالمية عديدة غالطة في معناه ودلالاته، وجاء في بيانهم أن: «الإرهاب هو العدوان الذي يمارسه أفراد أو جماعات أو دول بغياً على الإنسان في دينه، ودمه، وعقله، وماله، وعرضه، ويشمل صنوف التخويف والأذى والتهديد والقتل بغير حق، وما يتصل بصور الحرابة وإضافة السبيل وقطع الطريق، وكل فعل من أفعال العنف أو التهديد يقع تنفيذاً لمشروع إجرامي فردي أو جماعي، ويهدف إلى إلقاء الرعب بين الناس، أو ترويعهم بإيذائهم، أو تعريض حياتهم، أو حريتهم، أو أمنهم، أو أحوالهم للخطر، ومن صنوفه إلحاق الضرر بالبيئة أو بأحد المرافق والأملاك العامة أو الخاصة، أو تعريض أحد الموارد الوطنية، أو الطبيعية للخطر.

فكل هذا من صور الفساد في الأرض التي نهى الله سبحانه وتعالى المسلمين عليها. قال تعالى: ﴿وَلَا تَبْغِ ٱلْفَسَادَ فِى ٱلْأَرْضِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ ﴿٧٧﴾﴾ [القصص: ٧٧]»[1].

معنى العنف:

بالرجوع إلى المعاجم اللغوية في مادة (عنف) وُجد أنها مثلثة العين: بالرفع والفتح والكسر وهو ضد الرفق. وهو الشديد في القول والفعل.

وحقيقة العنف أن نتيجة وثمرة للغلو والتطرف والإرهاب الممنوع في الشدة في قول أو رأي أو فعل أو حال! وهو ما يولد ما يسمى بالعنف العقدي، والعنف العلمي والعنف الفكري في الرأي والفهم والتصور؟!

---

(١) ينظر البيان الصادر من مجمع الفقه الإسلامي رابطة العالم الإسلامي بمكة في دورته ١٦، المنشور في وسائل الإعلام المقروءة والمسموعة والمرئية.

ثانياً: تاريخ الغلو ونشأته عند المسلمين

الغلو قديم في البشرية وُجد قبل إرسال الله تعالى الرسل، وذلك بعد آدم عليه السلام بزمن إلى أن أرسل الله رسوله نوحاً عليه السلام. فلقد غلا قوم نوح قبل مجيئه إليهم في أقوام كانوا صالحين فغلوا في محبتهم حتى عبدوهم من دون الله، ثم أنهم صوّروا لهم أصناماً تكون رمزاً لعبادتهم حتى ظهرت بدعتهم إلى جاهلية العرب قبل مجيء الرسول ﷺ. قال تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣].

أخرج البخاري بسنده إلى ابن عباس رضي الله عنهما، قال في هذه الآية: «صارت الأوثان التي كانت في قوم نوح في العرب بعدُ، أما ودّ فكانت لكلب بدومة الجندل، وأما سواعاً فكانت لهذيل، وأما يغوث فكانت لمراد ثم لبني غطفان...، وأما يعوق فكانت لهمذان، وأما نسراً فكانت لحمير لآل ذي الكلاع ـ أسماء رجال صالحين من قوم نوح، فلما هلكوا أوحى الشيطان إلى قومهم أن انصبوا إلى مجالسهم التي كانوا يجلسون أنصاباً وسموها بأسمائهم، ففعلوا فلم تُعبد حتى إذا هلك أولئك وتنسخ العلم عُبدت» اهـ[1].

والأنصاب جمع نصب وهو الصنم يُنصب للميت لتخليد ذكراه.

هذه في الحقيقة تمثل نوعاً من الغلو، في باب الغلو في الأشخاص.

ثم وجد بعد ذلك نوع من الغلو عند بني إسرائيل من يهود ونصارى كما سبق في قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ لَا تَغْلُواْ فِى دِينِكُمْ﴾ [النساء: ١٧١]، [المائدة: ٧٧]، كما وجد الغلو في التكفير عند كل من اليهود للنصارى والعكس

---

(١) في كتاب التفسير ـ باب قوله تعالى: ﴿وَقَالُواْ لَا تَذَرُنَّ ءَالِهَتَكُمْ وَلَا تَذَرُنَّ وَدًّا وَلَا سُوَاعًا وَلَا يَغُوثَ وَيَعُوقَ وَنَسْرًا ﴿٢٣﴾﴾ [نوح: ٢٣] الآية.

حتى أدى بهم الأمر إلى استباحة دم كل منهما الآخر(١).

فاليهود تُقرُّ مبدأ القتال لأنه مرتبط بوجودهم وبقائهم، وأنهم أبناء الله وأحباؤه وما سواهم خدم لهم مسخرون لأجلهم وأميون.

والنصارى تقرر أنها وارثة اليهودية بشريعة عيسى عليه السلام، كما نقموا على اليهود لأنهم صلبوا عليسى عليه السلام ـ كما يظنون!.

﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ وَٱلنَّصَٰرَىٰ نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُا۟ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ ۚ قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ﴾ [المائدة: ١٨].

نشأة الغلو عند المسلمين:

ذكرت وجود حالات فردية في حياة النبي ﷺ في الغلو، لكنها لا تذكر لقلّتها ولعدم استمراريتها ولأنها لا تمثل عقيدة أو منهجاً؛ بل سرعان ما تزول عند معرفة الصواب، وهو أمر طبيعي في أي دعوة؛ خاصة دعوة الإسلام. وسببها ـ والله أعلم ـ التباين والاختلاف في فهم أحكام الشريعة ومقاصدها وكذلك اختلاف قوة الدافع نحو هذه الدعوة وأحكام شرعها. لكن النبي ﷺ استطاع أن يُفقّه أصحابه ويعلمهم ليصححوا ما قد يحصل من بعضهم من غلو ـ إن جاز التعبير ـ كما سبق في الأمثلة؛ منهم الثلاثة الذين تقالّوا عبادته ﷺ، لكن سرعان ما رجعوا إلى الاعتدال لما فقهوا(٢).

ولمّا قتل عثمان رضي الله عنه ظلماً وعدواناً وغدراً، ظهرت الفتن، وثارت أعاصير الشبهات، وأقبلت الفتن مهرولة يحمل رايتها الغلو والتطرف، فكان غلو الخوارج وتشددهم وخاصة في التكفير وموقفهم من أمير المؤمنين علي بن أبي

---

(١) تفاصيل هذا في مقال علمي في مجلة الفيصل عدد ١٣٤ـ شعبان ١٤٠٨هـ تحت عنوان «التطرف الديني عند بني إسرائيل» لعبد الرحمن عبد المحسن ـ عزز أقواله بنقول من العهدين القديم والحديث ص ٨٧ـ ٩١، وانظر الإلحاد وعلاقته باليهود والنصارى د. محمد الشويعر في مجلة البحوث عدد ١٤ عام ١٤٠٥هـ ص ٢٠٩.

(٢) هذه القصة وردت في حديث متفق عليه من رباعيات الشيخين. رواه البخاري في كتاب النكاح باب الترغيب في النكاح، ومسلم في كتاب النكاح ـ باب استحباب النكاح لمن تاقت نفسه إليه رقم ١٤٠١.

طالب، ثم ظهرت غالية السبائية ـ نسبة إلى عبد الله بن سبأ أول من أوقد الزندقة في الإسلام في ذات علي رضي الله عنه، فقد قال الشيخ عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب في مختصر سيرة الرسول ﷺ ص ٤٣٤:

«وفي أيامه ـ يعني علياً خرجت المغالية وادعوا أن في علي الإلهية، قال الحافظ ابن حجر: ورد من طريق عبد الله بن شريك العامري عن أبيه قال: قيل لعلي: إنَّ هنا قوماً على باب المسجد يزعمون أنّك ربهم، فدعاهم عليّ وقال لهم:

ويلكم إنما أنا مثلكم آكل الطعام كما تأكلون وأشرب كما تشربون، إن أطعت الله أثابني وإن عصيته خشيت أن يعذبني فاتقوا الله وارجعوا! فأبوا! فلما كان الغد غَدَوا عليه، فجاءه قُنبر فقال: قد والله رجعوا يقولون ذلك الكلام. فسأل فأدخلهم. فقالوا كذلك، فلما كان اليوم الثالث قال: لئن قلتم ذلك لأقتلنكم بأخبث قتلة. فأبوا إلاّ ذلك.

فقال: يا قنبر ائتني بفعلة معهم مرورهم ـ عمالاً معهم أدوات حفرهم ـ فخدّ لهم أخدوداً بين المسجد والقصر وقال لهم: احفروا فأبعدوا في الأرض وجاء بالحطب فطرحه في النار في الأخدود وقال: إني طارحكم فيها أو ترجعوا. فأبوا أن يرجعوا. فقذف بهم حتى احترقوا وقال:

لما رأيت الأمر أمراً منكراً أوقدت ناري ودعوت قُنبراً

وإسناده حسن.

وفي الصحيح أن ابن عباس لما بلغه تحريقهم قال:

لو كنت أنا لم أحرقهم لقول النبي ﷺ: «**لا تعذبوا بعذاب الله**». ولقتلتهم لقول النصارى: «**من بدل دينه فاقتلوه**»[1] فبلغ ذلك علياً فقال: صدق ابن عباس». اهـ.

وهذه المحاولة مشهورة في التاريخ ذكرها جمع من أهل المقالات ـ ولولا الإطالة لأحلت إلى كتبهم ـ وقد وقفت على قول لبعض المعاصرين[2] ينكر فيه هذه

---

(١) رواه البخاري في كتاب الجهاد ـ باب لا يعذب بعذاب الله.

(٢) هو: د. كامل مصطفى الشيبي في كتابه الصلة بين التشيع والتصوف ص ٩٠ـ ٩١؛ بل =

القصة ويدعي أنها:

«خبر مختلق من أساسه ولم يرد على صورة فيها ثقة، في كتاب معتبر من كتاب التاريخ.. وينتهي بنا المطاف إلى فائدة عظيمة هي أن السبئية ركام من التهم أُلقيت على جماعة... إن عن قصد أو عن غير قصد»[1] اهـ.

قلت: من فمك أدينك؛ فهذه القصة ليست مختلقة بل توارد عليها جمع من المؤرخين وكُتَّاب المقالات ـ كما ذكرت بعضاً منهم في كتابك. والأعجب من هذا أن رويت بإسناد حسن كما قاله الحافظ ابن حجر.

بل حديث ابن عباس في البخاري قرينة واضحة على وقوع تلك الحادثة. وعليه فلا مدخل من هنا على تكذيب هذه الحادثة لمن نظر وتعقل. ومن صحيح الحديث لم يتكدر.

وبعد هذا ندرك كيف كانت هذه الطغمة الفاسدة ـ السبئية أول مظاهر الغلو الحقيقي وأكثرها رواجاً على غلاة الرافضة خاصة، وباقي الفرق الإسلامية عامة. وحسبك أن تنظر إلى كتاب واحد من كتب الملل والمقالات لترى!.

ولم نعتد بغلو الخوارج على أنه أول للآتي:

ـ أن غلوهم أخف بكثير من غلو هؤلاء السبئية بعلي رضي الله عنه.

ـ الخوارج وقعوا فيما وقعوا فيه عن سفه ونقص في عقولهم وبصيرتهم وعلومهم[2].

فلم يكن قصدهم إفساد الدين والمسلمين ـ قطعاً ـ كما هو الحال عند غلاة

= تعدى إلى أبعد من هذا، فادعى أن ابن سبأ هو عمار بن ياسر رضي الله عنه، وحاول التوفيق بين صفات ابن سبأ الموجودة في كتب التاريخ وصفات عمار وموافقتها، انظر ص ٣٨ـ ٥٤، ٨٤ـ ٩٢ ومناقشة هذا الزعم يحتاج إلى بسط في غير هذه المناسبة. وهذا القول ظهر أخيراً من أعداء الإسلام من المستشرقين وأذنابهم، ولا يبعد أن يكون النفي له أصل متقدم معتمد على نفي الرافضة له، مع أن النوبختي قد ذكر ابن سبأ، وذكر فرقته السبئية في كتابه: فرق الشيعة ص ٢٢، ٢٣.

(١) كما في ص ٨٧ـ ٩٠.

(٢) بدليل أنه لما حاجهم ابن عباس في دلائلهم وأتي بنظائر ما توهموه: في مسألة تحكيم الرِّجال في آية النساء، وسبي أم المؤمنين، واستحلال مال ودم المسلمين، رجع منهم كثير، اختلفوا في عدده ـ ورفض الباقون مناظرة ابن عباس لأنه من قريش ولأنهم كما قال تعالى: ﴿بَلْ هُمْ قَوْمٌ خَصِمُونَ ۝﴾ [الزخرف: ٥٨].

الرافضة. فعليه فأجلى مظاهر الغلو ومنشؤه عند المسلمين هو غلو السبئية نسبة إلى عبد الله بن سبأ الهمذاني اليهودي الصنعاني المَكْنيّ بابن السوداء - الذي أسلم في عهد عثمان وقاد الفتنة بين الصحابة وعلي ومن معه، وكان ناشر مقولة الغلاة في تأليه عليّ - وقد نفاه عليّ إلى ساباط المدائن حيث لم يصرح أمامه بقوله بإلهيته.

إذن يمكن القول بأن نشأة الغلو في الإسلام بهذا الفكر، وتلك العقائد؛ إنما كان بسبب عبد الله بن سبأ اليهودي أبعده الله.

علاقة نشأة الغلو عند المسلمين بالعقائد القديمة:

إذا تقرر أن أول غلو نشأ عند المسلمين، وأثر على القرون اللاحقة هو غلو عبد الله بن سبأ في ذات عليّ رضي الله عنه، وأن ابن سبأ شخصية حقيقية تكاد مصادر العقائد تجمع على أنه أول من دعا إلى فكرة تقديس علي ثم آل بيته(١)؛ وأنه يهودي أصلاً - وكانت بعض العقائد القديمة موجودة عند فرق الإسلام والغلاة، خاصة الرافضة - لما كان هذا موجوداً جعل بعض المعاصرين يبحث في نظريات الغلو عند المسلمين من أين جاءت؟.

فمن قائل إنها من أصل هندي أو مجوسي أو يهودي أو نصراني أو من أصل عربي(٢).

والواقع أن ما عند الغلاة هو حصيلة أغلب تلك العقائد - مع التأثر الملحوظ باليهود - خاصة أنه دين أول فرقة غالية في الإسلام(٣).

وهذا قول أعرف الناس بالرافضة وهو الإمام الشعبي التابعي الجليل

---

(١) كما في نشأة الفكر الفلسفي ١/٦٨.

(٢) بحث هذه القضية جمع من المعاصرين. منهم د. عرفان عبد الحميد في دراسات في العقائد الإسلامية ٣٤- ٤٣، والسامرائي في الغلو والرق الغالية ٧٩- ٨٠، ١٢٥- ١٨٠، ود. علي النشار في نشأة الفكر الفلسفي ١/ ٦٨ والجزء الثاني من أثر اليهود على مذهب الرافضة، ونظلة الجبوري في حركة الغلو وأصولها الفارسية. وكامل الشيبي في الصلة بين التصوف والتشيع ص ١٢٨، وأحمد أمين في ضحى الإسلام ٢٧٨/٣، ومحمد أبو زهرة في تاريخ المذاهب الإسلامية ١/ ٣٧- ٣٨. وغيرهم.

(٣) طبعت أخيراً دراسة حول هذا الموضوع في مجلدين عنوانها «بذل المجهود في إثبات مشابهة الرافضة لليهود».

(١٠٤هـ). فقد روى أبو القاسم اللالكائي الطبري بسنده إلى عبد الرحمن بن مالك بن مِغْزل عن أبيه قال: «قال الشعبي: يا مالك لو أردت أن يعطوني رقابهم عبيداً أو أن يملؤا بيتي ذهباً ـ يعني الرافضة ـ على أن أكذب لهم على عليّ لفعلوا، ولكن والله لا أكذب عليه أبداً. يا مالك: إنني قد درست هذه إلى الأهواء كلها فلم أرَ قوماً هم أحمق من الخشبية ـ من فرق الرافضة ـ لو كانوا من الدواب لكانوا حُمراً، ولو كانوا من الطير لكانوا رخماً. وقال: أحذرك الأهواء المضلة وشرها الرافضة؛ وذلك أن من يهود من يغمصون الإسلام لتحيا ضلالتهم، كما غمص بولس بن شاؤول ملك اليهود دينِ النصرانية، لم يدخلوا في الإسلام رغبة ولا رهبة من الله، ولكن مقتاً لأهل الإسلام، وطعاناً عليهم، فأحرقهم علي بن أبي طالب بالنار، ونفاهم من البلدان: منهم عبد الله بن سبأ نفاه إلى ساباط، وعبد الله بن يسار نفاه إلى خازر وأبو الكَروَّس وابنه إلى الجابية.

وذلك أن محنة الرافضة محنة اليهود، قالت اليهود: لا يصلح الملك إلاّ في آل داود. وقالت الرافضة: لا تصلح الإمامة إلاّ في آل علي.

وقالت اليهود: لا جهاد في سبيل الله حتى يخرج المسيح الدجال، أو ينزل عيسى من السماء. وقالت الرافضة: لا جهاد حتى يخرج المهدي، ثم ينادي مناد من السماء واليهود يؤخرون صلاة المغرب حتى تشتبك النجوم. وكذلك الرافضة.

والحديث عن رسول الله ﷺ: **«لا تزال أمتي على الفطرة ما لم يؤخروا المغرب حتى تشتبك النجوم»**.

واليهود يولون عن القبلة شيئاً، وكذلك الرافضة.

واليهود تسدل أثوابها، وكذلك الرافضة.

وقد أمر رسول الله ﷺ برجل قد سدل ثوبه فَقَمَّصه عليه أو عطفه عليه.

واليهود حرفوا التوراة، وكذلك الرافضة حرفوا القرآن.

واليهود يستحلون دم كل مسلم، وكذلك الرافضة.

واليهود لا يرون الطلاق ثلاثاً شيئاً، وكذلك الرافضة.

واليهود لا يرون على النساء عدة، وكذلك الرافضة.

واليهود يبغضون جبريل ويقولون: هو عدونا من الملائكة، وكذلك صنف

من الرافضة ـ هم الغرابية ـ يقولون: غلط بالوحي على محمد(١).

وفضلت اليهود والنصارى على الرافضة بخصلتين:

سئلت اليهود من خير أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب موسى.

وسئلت النصارى من خير أهل ملتكم؟ قالوا: حواريو عيسى.

وسئلت الرافضة من شر أهل ملتكم؟ قالوا: أصحاب محمد.

أُمروا بالاستغفار لهم فسبوهم، فالسيف مسلول عليهم إلى يوم القيامة لا يثبت لهم قدم ولا تقوم لهم رايةٍ ولا تجتمع لهم كلمة، دعوتهم مدحوضة وجمعهم متفرق، كلما أوقدوا ناراً للحرب أطفأها الله عزّ وجلّ» اهـ.(٢).

وإليك ما قاله أبو بكر الباقلاني في كتابه فضائح الباطنة ـ يسر الله بعثه ـ بواسطة شرح الطحاوية ص ٩٠ قال فيه:

«ولهذا كان الرفض باب الزندقة كما حكاه القاضي أبو بكر الطيب عن الباطنية وكيفية إفسادهم لدين الإسلام قال: فقالوا للداعي: يجب عليك إذا وجدت من تدعوه مسلماً أن تجعل التشيع عنده دينك وشعارك واجعل المتصل من جهة ظلم السلف لعلي وقتلهم الحسين والتبري من تيم وعدي ـ قبيلة أبي بكر وعمر ـ وبني أمية وبني العباس ـ مع أنهم من آل البيت ـ. وقل بالرجعة وأن علياً يعلم الغيب يُفوض إليه خلق العالم!. وما أشبه ذلك من أعاجيب الشيعة وجهلهم، فإذا أنست من بعض الشيعة عند الدعوة إجابة ورشداً، أوقفته على مثالب عليّ

---

(١) لأن الغرابية قالوا: إن علياً يشبه محمداً، كما يشبه الغراب الغراب، فاختلط ذلك على جبريل فغلط، حيث بدل من أن ينزل الوحي على علي، أعطاه محمداً؟ قبحهم الله! والله يقول: ﴿نَزَلَ بِهِ ٱلرُّوحُ ٱلْأَمِينُ ۝١٩٣ عَلَىٰ قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُنذِرِينَ ۝١٩٤ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُّبِينٍ ۝١٩٥﴾.

(٢) ذكر ابن تيمية لهذا الأثر طريقين في منهاج السنة؛ أحدهما عن ابن شاهين بسنده إلى الشعبي، والآخر من طريق أبي عمرو الطلمنكي إليه، وساق لفظيهما بتمامهما. وأشار إلى رواية اللالكائي هذه وقال بعدها: فهذا الأثر روي من وجوه متعددة يصدق بعضها بعضاً، وبعضها يزيد على بعض، كعن عبد الرحمن بن مالك، ضعيف، ثم قال: وذم الشعبي لهم ثابت من طرق أخرى. المنهاج ١/ ٢٢ـ ٣٦. وقال محقق كتاب اللالكائي في رقم ٢٨٢٣: إنه رواه الخلال بلفظ أطول من رواية اللالكائي.

وولده رضي الله عنهم». اهـ[1].

وأخذ الغلاة من الرافضة عن المجوس أهل فارس ـ كما سيأتي في حديث أبي هريرة في الموقف من الغلو ـ حيث صرّح النبي ﷺ أنهم يأخذون عن فارس والروم.

* ومن العقائد التي تأثر بها الغلاة القول بالوصيّة أتى بها ابن سبأ بأن قال: إن علياً وصي رسول الله ﷺ ومن عقائد يهود أنهم يقولون: إن يوشع بن نون وصيٌ لموسى عليه السلام.

* وأخذوا من اليهود التشبيه ـ تشبه الخالق بالمخلوق ـ حيث قالت اليهود: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤]، وقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨١]. ومتقدمو الرافضة مشبهة مجسمة ومن أشهرهم هشام بن الحكم الرافضي، والجواليقي.

* وقالوا برفع عليّ إلى السماء وكذّب ابن سبأ من قال بموته، وأنه لو أُتي بدماغه في صرة أو بسبعين صرة لم يصدق بموته، وأنه سينزل إلى الأرض. كقول أهل الكتاب في إيليا عليه السلام وهو عقيدة الرجعة.

وقالوا: إنه فوق السحاب، وإن الرعد صوته، والبرق سوطه يضرب به السحاب.

* وأخذوا القول بنفي القدر وأن العبد يخلق فعل نفسه، وهو قول فرقة من اليهود تسمى الفروشيم[2].

* وأخذوا من النصارى والهنود الحلول والتناسخ[3].

---

(١) استفاد من كتاب الباقلاني الغزالي أبو حامد في فضائح الباطنية وهو مطبوع في مجلد لطيف.

(٢) كما في تاريخ المذاهب ١/ ١٢٥ـ نقلاً عن أحمد أمين من فجر الإسلام ـ وترجمة هذه الكلمة المعتزلة.

(٣) هذا باستقراء كتب الفرق والمقالات التي وقفت عليها ـ وما ذكرت إلاّ أهم العقائد ـ ويراجع على سبيل الخصوص الكلام على فرق غلاة الروافض الذين ظهر تأثرها جلياً بالعقائد القديمة والوثنية كالسبائية ـ الكيسائية ـ البيانية ـ الخطابية ـ النصيرية...

وانظر فيها: الملل والنحل ٢/ ١٢ـ ١٣، والفصل لابن حزم ٥/ ١٣٧ـ ١٤٤، ودراسات العقائد الإسلامية ٣٥ـ ٤١، ومقالات الإسلاميين ١/ ٦٦ـ ٨٨، والزينة للرازي ٣٠٣ـ ٣٠٧، واعتقادات فرق المسلمين ٧٠ـ ٧١، والفرق بين الفرق ١٧٧ وما بعدها ونشأة الفكر =

وغيرها من العقائد التي أفسدت عليهم دينهم، ولا أخص بذلك غلاة الشيعة بل كل ما أتى بفكر غالٍ، كالمعتزلة غلاة القدرية والحلولية والاتحادية والباطنية وعموم الزنادقة قبّحهم الله!.

* * *

= الفلسفي ١/ الفصل الأول والثاني والرابع، والبرهان في معرفة عقائد أهل الأديان ٦٧ـ ٨٥، والتبصير في الدين الباب الثالث عشر ١٢٣ـ ١٢٤٨، وتاريخ المذاهب الإسلامية ١/ ٣٨ـ ٤٣ و ٥٨ـ ٥٩، والفوائد المجتمعة في بيان الفرق الضالة المبتدعة، ورسالة «بيان الفرق الضالة» لليازجي والنواقص لظهور الروافض للبرزنجي ـ وكلاهما خطيتان ومصورة عندي، والفرقة المفترقة للأفندي، والباكورة السليمانية وغيرها.

ثالثاً: أسباب نشأة الغلو في الدين

يتحصل من دراستي للفرق الغالية خاصة، ونشأة الغلو والشرك بين الموحدين، أن الشيطان تمكن من قلوب أولئك وعقولهم وأفسدها كما أراد، وسلك معهم الأساليب المختلفة، وهذا مسلكه مع عباد الله ﴿إِذْ قَالَ لِلْإِنسَٰنِ ٱكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّى بَرِىٓءٌ مِّنكَ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾﴾ [الحشر: ١٦]. فهو يظلمهم ويتبرأ منهم، ويكون قوله يوم القيامة، كما قصّه الله علينا في سورة إبراهيم: ﴿وَقَالَ ٱلشَّيْطَٰنُ لَمَّا قُضِىَ ٱلْأَمْرُ إِنَّ ٱللَّهَ وَعَدَكُمْ وَعْدَ ٱلْحَقِّ وَوَعَدتُّكُمْ فَأَخْلَفْتُكُمْ ۖ وَمَا كَانَ لِىَ عَلَيْكُم مِّن سُلْطَٰنٍ إِلَّآ أَن دَعَوْتُكُمْ فَٱسْتَجَبْتُمْ لِى ۖ فَلَا تَلُومُونِى وَلُومُوٓا۟ أَنفُسَكُم ۖ مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِىَّ ۖ إِنِّى كَفَرْتُ بِمَآ أَشْرَكْتُمُونِ مِن قَبْلُ ۗ إِنَّ ٱلظَّٰلِمِينَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [إبراهيم: ٢٢] الآية.

وسأحاول هنا تعداد الأسباب التي أدت بأقوام أو أفراد، إلى الانحراف عن المنهج الوسط القويم، إلى الغلو والضلال. فمن هذه الأسباب:

١ـ الجهل بأحكام الشرائع السماوية وقلة البصيرة فيها أو مخالفتها ولو بمقصد شرعي ابتداء ـ كما حصل لقوم نوح عليه السلام، وهذا يؤدي إما إلى فهم زائد عن الواجب وهو الغلو والإفراط، أو عكسه تفريط وغلو فيه عن الواجب.

ولا بد من التنبه إلى أنه لا يكفي حسن المقصد لتبرير تصويب الوسيلة أو التغافل عنها البتة!.

٢ـ دخول كثير من أهل الأديان السابقة الإسلام بقصد الكيد له، وإفساده ـ كما يدّعون أنه أفسد عليهم دينهم بفتح بلدانهم ونشر الإسلام فيها ـ فكان هذا من المنافقين والزنادقة أقوى وسيلة لتقويض دعائم الدين وتهوين أصوله ببث العقائد المغرضة فيه. وتأمل النقل السابق عن الباقلاني في فضائح الباطنية.

كذلك ما سبق هذا من حنق اليهود وغيرهم من المجوس والنصارى على

الرسول ﷺ وصحابته - كما هو معروف في سيرتهم بالمدينة والجزيرة.

٣- الاعتماد على مصادر مغايرة لمصادر الشريعة الإسلامية في التحاكم إليها كالعقول المجردة - الفاسدة - والمناطق والفلسفات الكلامية العقيمة التي نُزع ما فيها من خير. واعتبر بحال المعطلة وغلاتهم وأمثالهم.

٤- التعصب الأعمى، والتقوقع على المعتقد القديم، تعصباً يكون معه رد ما عند المخالف ولو كان حقاً، بل وطرح الأدلة القطعية وعدم الاعتداد بها - وهي أدلة الكتاب والسنّة - أو صرف الهمة إلى الفروع وبناء الولاء والبراء عليها؛ فيؤدي إلى ظهور مظاهر غير محمودة كالعنف في التعامل، والتزام التضييق على الناس مع قيام موجبات التسهيل ودواعيه، وأسباب التيسير عليهم؛ مثل حال الخوارج إلى هذا الوقت. ومن مظاهرها ما يحصل من مقلدة المذاهب الفقهية، المتعصبين لها مقابل النصوص والأقوال الصحيحة.

٥- وجود التفريط في العمل بالأحكام الشرعية أو فكرة معينة أو عقيدة ما، الذي يفضي بدوره إلى وقوع ردة فعل قوية أو العكس، فتكون بين طرفين متناقضين.

كذلك وجود المنكرات جهاراً علانية، بل الكفر الواضح في مجتمع معين أو فكر محدد، يولد غلواً في مكافحته ودفعه، كالمرجئة مقابل الخوارج، والمعتزلة في باب الأسماء والأحكام، وكالمعطلة مقابل المشبهة في الصفات. . . إلخ.

* أو استخدام القوة أو العنف بدلاً من الحكمة والحسنى يقابله زيادة التمسك بفكرة الغلاة وأقوالهم. ومثله وجود تساهل في منهج فرقة معينة يقابله التشديد في منهج فرقة مقابلة، وتأمله في واقع الفرق الإسلامية قديماً وحديثاً!. ثم استلهم العبر!.

٦- الاستقلالية في استنباط الأحكام الشرعية دون ضابط محدد ومنهج حق من كتاب الله وسنّة رسوله ﷺ ومستند السلف الصالح واللغة العربية، وفي الوقوف على الأدلة ودلالتها وأقوال أهل الفقه والبصيرة فيها.

* فما حصل من واصل بن عطاء الغزال في قصة اعتزاله عن الحسن البصري نوع من هذا.

* وكذا ما حصل عند كبار المتصوفة والباطنية الذين خاضوا وتكلموا بالنصوص السمعية بأهوائهم لا بما تدل عليه. فالنص يدور في فلك معين وهم في فلك آخر مغاير له.

* وكذا ما يقع من الجماعات المعاصرة ـ وخاصة الشباب ـ من استقلالية بالأخذ عن الكتاب والسنة بدون ضابط ـ حتى ظهرت العبارة المشهورة «نحن رجال وهم رجال» دون الاعتداد بأهل العلم والبصيرة من علمائهم.

٧ـ نقص أو انعدام التربية الحقيقية الإيمانية القائمة على مرتكزات ودعائم قوية من نصوص الوحي، واستبصار المصلحة العامة ودرء المفاسد الطارئة، وقلة إدراك عبر التاريخ ودروس الزمان وسنن الحياة في واقع الناس.

* ومما يؤكد النقص الواضح في التربية، تخلي بعض العلماء أو أكثرهم على مرّ العصور ـ عن حقوق العلم وواجباتهم نحوه، وهذا أمر نسبي يختلف من زمن لآخر، ولكنك تراه واضحاً في زمان أو مكان قلوا فيه أو انعدموا!.

* ولكن أبرز الأسباب التي أجدها معتبرة في عزو الغلو إليها، وهي بذاتها أسباب الغلو في قوم نوح وبداية الدعوة المحمدية الإسلامية وبعد مقتل عثمان. . . والغلو المعاصر، فإن هذه الأسباب هي كبرى البواعث غالباً على الغلو وآثاره.

* يعزو أحد العلماء المعاصرين[1] أسباب الغلو إلى الاعتماد على المتشابهات، فهل المقصود الآيات المتشابهات مقابل المحكمات أو غيرها؟ فإذا كان هذا، فهذا ثم سبب متداخل مع ما سبق وربما يكون وسيلة من وسائله، وهو نتيجة لبعض ما سبق من أسباب: كالجهل والاستقلالية بالاستنباط وردود الأفعال.

أو كان المراد به المتشابهات التي هي قسيم الواضحات الجلية من المسائل فإي نعم! لأنها تجنح بالأفكار إلى مدى بعيد عن الحقيقة والصواب، والله سبحانه يقول في آية آل عمران: ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ ٱبۡتِغَآءَ ٱلۡفِتۡنَةِ وَٱبۡتِغَآءَ تَأۡوِيلِهِۦۗ وَمَا يَعۡلَمُ تَأۡوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُۗ﴾ الآية [آل عمران: ٧].

***

---

(١) هو: د. يوسف القرضاوي في كتابه قضايا إسلامية معاصرة على بساط البحث ص ١٥٥ـ ١١٦، وانظر رسالته «الغلو في التكفير».

رابعاً: النصوص الواردة في التحذير من الغلو وذمه [موقف الإسلام من الغلو]

لما كان الدين منزلاً من عند بارىء السموات والأرض وما فيهما، كان سبحانه أعلم بحدود البشر وإمكانياتهم، فشرع لهم ما يناسبهم ويوافق قدراتهم فجاء الإسلام ديناً سمحاً سهلاً، دين يسر دُفعت فيه المشقة بالقدرة والاستطاعة[1] كما قال تعالى: ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ﴾ [البقرة: ٢٨٦].

وإذا كان الدين الإسلامي بهذا الوضع، وكونه دين اعتدال وتوسط وقصد في كل شيء، عُلم أن الغلو فيه والزيادة على اعتداله والتشدد في قصده، ضلال عن هديه وبعد عن مقاصده، وكذلك في التفريط والتهاون بأحكامه ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِي مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦۚ﴾ [الأنعام: ١٥٣]، وقال سبحانه فيمن خالف صراطه المستقيم فحرم ما أحله الله: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تُحَرِّمُوا۟ طَيِّبَٰتِ مَآ أَحَلَّ ٱللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَعْتَدُوٓا۟ۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلْمُعْتَدِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [المائدة: ٨٧]، فعُد هذا الفعل من الاعتداء على شرع الله وحكمه وتقديره.

* ومن مقررات عقيدة أهل السنّة والجماعة التمسك بالكتاب والسنّة والبعد عن مزلات الأقدام في الأفهام والأفعال ـ كما قال الطحاوي في عقيدته: «ودين الله في الأرض والسماء واحد ـ وهو بين الغلو والتقصير». وقال: «ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم ولا نتبرأ من أحد منهم». اهـ.

* وسبق بعض النصوص من الكتاب والسنّة، المحذرة من الغلو والناهية عنه.

وهذه بعض ما تيسر الوقوف عليه من الآيات والأحاديث التي تحدد معالم موقف الإسلام من الغلو في الجملة:

---

(١) من القواعد الخمس الكلية: قاعدة المشقة تجلب التيسير.

١ـ قال تعالى: ﴿وَقَالَتِ ٱلْيَهُودُ عُزَيْرٌ ٱبْنُ ٱللَّهِ وَقَالَتِ ٱلنَّصَٰرَى ٱلْمَسِيحُ ٱبْنُ ٱللَّهِ ذَٰلِكَ قَوْلُهُم بِأَفْوَٰهِهِمْ يُضَٰهِـُٔونَ قَوْلَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن قَبْلُ قَٰتَلَهُمُ ٱللَّهُ أَنَّىٰ يُؤْفَكُونَ ۝٣٠﴾ [التوبة: ٣٠].

ويضاهئون: يشابهون ويماثلون ـ كما هو عند غلاة الرافضة من القول بالحلولية، والتناسخ وعند غيرهم.

٢ـ وعند عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

«**هلك المتنطعون، هلك المتنطعون، هلك المتنطعون**» رواه مسلم[(١)].

المتنطعون هم المجاوزون الحدّ، المتعمقون الغالون في القول والفعل والفكر. فتوعدهم النبي عليه السلام بالهلاك وكررها ثلاثاً للتأكيد ـ ولا أشد من هلاك الدين والله المستعان.

٣ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه مرفوعاً:

«**لا تقوم الساعة حتى تأخذ أمتي بأخذ القرون قبلها شبرًا بشبر وذراعاً بذراع.** فقيل: يا رسول الله كفارس والروم. **فقال: فمن الناس إلاّ أولئك؟!**» رواه البخاري ومسلم[(٢)].

قاله النبي ﷺ على سبيل التحذير والنهي عن سلوك مسالكهم وأتباعهم. وفي إشارته إلى فارس والروم: تحذيرٌ من ديانة أهل هذين القُطرين؛ ففارس مجوس فيهم يهود في أصبهان، والروم نصارى وفيهم يهود.

وفي حديث أبي سعيد عندهما ـ التصريح باليهود والنصارى. ولا تعارض بين الحديثين. «**فمن الناس إلاّ أولئك؟**» استفهام على سبيل التقرير المتضمن للإنكار، وفيه حصر الضلال والاتباع بأولئك أهل فارس المجوسية، ومنهم دخل على المسلمين باب الفتنة وانفتح على مصراعيه.

٤ـ وعن أنس رضي الله عنه قال: أنه كان يصلي بالمدينة صلاة خفيفة كأنها

---

(١) رواه مسلم في كتاب العلم ـ باب هلك المتنطعون، وأبو داود في كتاب السنن ـ باب لزوم السنة، وانظر: تيسير العزيز الحميد ص ٣٠٥ـ ٣١٨.

(٢) رواه البخاري في كتاب الاعتصام ـ باب قول النبي ﷺ «لتتبعن سنن من كان قبلكم» ومسلم كتاب العلم ـ باب اتباع سنن اليهود والنصارى رقم ٢٦٦٩.

صلاة مسافر أو قريباً منها فلما سلم قال له رجل: يرحمك الله أرأيت هذه الصلاة المكتوبة أو شيء تنفلته؟ قال: إنها المكتوبة وإنها لصلاة رسول الله ﷺ ما أخطأت إلاّ شيئاً سهوت عنه. ثم قال: إن رسول الله ﷺ كان يقول: لا تشددوا على أنفسكم فيشدد الله عليكم، فإن قوماً شددوا على أنفسهم فشدد الله عليهم فتلك بقاياهم في الصوامع والديار ﴿وَرَهْبَانِيَّةً ٱبْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَٰهَا عَلَيْهِمْ﴾ [الحديد: ٢٧]. رواه أبو داود وأبو يعلى وغيرهما[١].

٥ـ وقال البخاري في صحيحه، باب الدين يُسر وقول النبي ﷺ **«أحب الدين إلى الله الحنفية السمحة»** وعن أبي هريرة أن النبي ﷺ قال: **«إن الدين يسر ولن يشاد الدين أحدٌ إلاّ غلبه، فسددوا وقاربوا وأبشروا، واستعينوا بالغدوة والروحة وشيء من الدلجة»**[٢].

الحنيفية ملة إبراهيم عليه السلام، السهلة السمحة الميسورة، قال تعالى: ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي ٱلدِّينِ مِنْ حَرَجٍۚ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَٰهِيمَۚ﴾ [الحج: ٧٨]، قال الحافظ في الفتح ١/ ١١٧ـ ١١٨:

«والمشاد ـ بالتشديد ـ المغالبة، يقال: شادّه يشادّه مشادةً إذا قاواه، والمعنى لا يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلاّ عجز وانقطع فيُغلب. قال ابن المُنير: إن هذا الحديث علم من أعلام النبوة؛ فقد رأينا ورأى النّاس قبلنا، أن كل متنطع في الدين ينقطع، وليس المراد منع طلب الكمال والأكمل في العبادة فإنه من الأمور المحمودة، بل منع الإفراط المؤدي إلى الملال أو المبالغة في التطوع المُفضي إلى ترك الأفضل» اهـ.

والسداد هو التوسط وطلب الصواب من غير غلو أو تقصير وعليه دلالة اللغة.

قال ابن رجب في هذا الحديث: «فإن شدة السير والاجتهاد مظنة السآمة

---

(١) أبو داود كتاب الأدب ـ باب الحسد. ورواية أبي يعلى ذكرها ابن كثير في تفسيره عند هذه الآية.

(٢) البخاري في كتاب الإيمان ـ باب الدين يسر. وقد شرحه الحافظ ابن رجب في رسالة حافلة اسمها «بيان المحجة في سير الدلجة».

والانقطاع، والقصد أقرب إلى الدوام، ولهذا جعل عاقبة القصد البلوغ؛ كما قال «من أدلج بلغ المنزل».

ومنه حديث أنس مرفوعاً: «يسروا ولا تعسروا وبشروا ولا تنفروا»[1].

٦ـ وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النصارى: «سيأتي على الناس سنواتٌ خُدَّاعات، يصدق فيها الكاذب، ويكذب فيها الصادق، ويؤتمن فيها الخائن، ويخون فيها الأمين، وينطق فيها الرويبضة. قيل: وما الرويبضة؟ قال: الرجل التافه في أمر العامة»[2]. رواه ابن ماجه والحاكم وصححه الذهبي ورواه أحمد في المسند ١/ ٢٩١.

* قال السندي في شرحه على السنن ٢/ ٤٩٤:

«خدّاعات ـ بتشديد الدال ـ للمبالغة، قال السيوطي: أي تكثر فيها الأمطار ويقل الريع... وقيل: الخداعة القليلة المطر، من خدع الريق إذا جف. والرويبضة ـ بالتصغير ـ التافه الحقير قليل العلم» اهـ.

وفي رواية الذهبي في التلخيص على المستدرك: «قال: السفيه يتكلم بأمر العامة» اهـ.

وهذا واقع كثير من الفرق الغالية الخارجة عن الإسلام أو التي كادت تخرج عن الإيمان قديماً أو حديثاً. فما زالوا يتخذون السفهاء أئمة وزعماء وربما شابههم بعض المسلمين في جماعتهم وطوائفهم فالله المستعان على انقلاب المفاهيم واختلاف الموازين.

٧ـ وكتب رجل إلى عمر بن عبد العزيز يسأله عن القدر فأجابه:

«أما بعد: أوصيك بتقوى الله والاقتصاد في الأمر، واتباع سنة نبيه ﷺ وترك ما أحدثه المحدثون بعدما جرت به سنته، وكُفُوا مؤنته، فعليك بلزوم السنة فإنها

---

(١) البخاري في كتاب العلم ـ باب ما كان رسول الله ﷺ يتخولهم بالموعظة والعلم كي لا ينفروا، ومسلم في كتاب الجهاد ـ باب الأمر بالتيسير وترك التنفير رقم ١٧٣٤، وانظر: الفتح ١/ ١٩٦ـ ١٣٧.

(٢) رواه ابن ماجه في كتاب الفتن ـ باب شدة الزمان رقم ٤٠٣٦، والحاكم ٤/ ٥١٢. وله شاهد عند أحمد في مسنده عن أنس ٣/ ٢٢٠، والحديث ذكره الألباني في الصحيحة برقم ١٨٨٧.

لك بإذن الله عصمة، ثم اعلم أنه لم يبتدع الناس بدعة إلاّ قد مضى قبلها ما هو دليل عليها أو عبرة فيها، فإن السنّة إنما سَنّها من قد علم ما في خلافها من الخطأ والزلل والحمق والتعمق.

فارض لنفسك ما رضي به القوم لأنفسهم، فإنهم على علم وقفوا، وببصر نافذ كفوا، ولهم على كشف الأمور كانوا أقوى، وبفضل ما كانوا فيه أولى، فإن كان الهدى ما أنتم عليه لقد سبقتموهم إليه، ولئن قلتم إنما حدث بعدهم ما أحدثه إلاّ من اتبع غير سبيلهم ورغب بنفسه عنهم، فإنهم هم السابقون، فقد تكلموا فيه بما يكفي، ووصفوا منه ما يشفي، فما دونهم من مَقصد، وما فوقهم من محسر، وقد قصّر قوم دونهم فجفوا، وطمح عنهم قوم فغلوا، وإنهم بين ذلك لعلى هدى مستقيم.

كتبت تسأل عن الإقرار بالقدر فعلى الخبير - بإذن الله - وقعت، ما أعلم ما أحدث الناس من محدثة، ولا ابتدعوا من بدعة هي أبين أثراً ولا أثبت أمراً من الإقرار بالقدر، لقد كان ذكره في الجاهلية الجهلاء يتكلمون به في كلامهم وفي شعرهم، يُعزُّون به أنفسهم على ما فاتهم. ثم لم يزده الإسلام بعد إلاّ شدة - أي الشدة في العزاء والإيمان به، من القول بأن ما أخطأنا لم يكن ليصيبنا وما أصابنا لم يكن ليخطئنا.

ولقد ذكره رسول الله ﷺ في غير حديث ولا حديثين، وقد سمعه منه المسلمون فتكلموا به في حياته وبعد وفاته يقيناً وتسليماً لربهم وتضعيفاً لأنفسهم، أن يكون في شيء لم يحط به علمه، ولم يحصه كتابه، ولم يمضِ فيه قدرته، وأنه مع ذلك لفي محكم كتابه: منه اقتبسوه، ومنه تعلموه. ولئن قلتم: لم أنزل الله آية كذا ولم قال كذا؟ لقد قرأوا ما قرأتم، وعلموا من تأويله ما جهلتم، وقالوا بعد ذلك كله بكتاب الله وقدره وكتبت الشقاوة وما يقدر يكن، وما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن، ولا نملك لأنفسنا ضراً ولا نفعاً ثم رغبوا بعد ذلك ورهبوا» اهـ[1].

---

(١) رواه أبو داود في كتاب السنّة - باب لزوم السنة برقم ٤٦١٢ من طريق محمد بن كثير ثنا سفيان به من ثلاثة طرق.

والأحاديث والآثار الواردة في ذمّ القدرية خاصة كثيرة جداً، انظرها في كتاب السنّة =

الله أكبر فما بعد القول من قول، رسم فيه منهج أهل الكتاب والسنة والجماعة ـ فيما يتعلق بالقدر خاصة وغيره ـ أبدع رسم، فرحمة الله تعالى عليه، كيف حذر من الغلو وحاذر من ضده!

والنصوص من الأحاديث النبوية في النهي عن الغلو والابتداع والحذر منها كثيرة مستفيضة لو اجتمعت لبلغت سفراً ضخماً. وهي مع ذلك مبثوثة في ثنايا الصحاح والسنن والمسانيد ومدونات السنة وهي مشهورة غير مجهولة والحمد لله، ومظانها من كتبها:

كتاب العلم ـ الإيمان ـ الفتن ـ لزوم الجماعة ـ الاعتصام بالكتاب والسنة ـ التوحيد ـ السنة ـ المناقب والفضائل.

* * *

= لأبي داود ضمن السنن ـ وفي سنن الترمذي كتاب القدر ـ وسنن ابن ماجه كتاب الفتن ـ وشرح أصول اعتقاد أهل السنة للالكائي ٤/ ٦٢٧ـ ٧٥٠ والسنة لعبد الله بن أحمد ٢/ ٣٨٤ـ ٤٣٣. والشريعة للآجري ٢٢٧ـ ٢٣٥، والسنة لابن أبي عاصم وأمثالها.

الفصل الثاني

وفيــه:

أولاً : الفرق الغالية

ثانياً : الغلو في باب صفات الله تعالى

ثالثاً : الغلو في القضاء والقدر

رابعاً : الغلو في ذوات الأشخاص (نماذج وشبه والجواب عنها)

خامساً : الغلو في باب النبوة ـ وقطعية ختم النبوة

سادساً : الغلو في الأسماء والأحكام (نماذج وشبه والرد عنها)

سابعاً : الغلو في حب الصحابة أو بغضهم

لما مضى في الفصل الأول عن بدايات الغلو ونشأته عند المسلمين أشرت إلى بعض الفرق الغالية، والتي غلت في قضايا معينة من مسائل الكتاب والدين الإسلامي.

وفي هذا الفصل أحاول أن أجمع عدداً من الفرق الغالية على سبيل التنوع فيما غلوا فيه من مسائل الدين. ولن ألتزم بذكر جميع الغلاة في المسألة المعينة ـ فالقدر مثلاً لن أذكر إلاّ من كان غلوه فيه صريحاً لا يوهم غيره، ولن ألتزم بذكر نص كل فرقة بعينها لأن ذلك سيطول حصره، ومناقشة كل فرقة خروج عن المقصود.

* لهذا سأعرض للغلو في باب الصفات تشبيهاً وتعطيلاً.

* ثم الغلو في باب القضاء والقدر إثباتاً لخلق العبد فعله، أو كونه مجبوراً.

* ثم الغلو في الأشخاص في ذواتهم كالرسول ﷺ وعليّ وآل البيت والصالحين، والغلو عند الصوفية.

* ثم الغلو في باب النبوات ـ وهو بعض الغلو في الأشخاص ـ لكن لأهميته أفرد مستقلاً.

* ثم الغلو في باب الأسماء والأحكام، وأعرض من خلاله إلى الآراء الغالية في أصل المسألة، وهي مسألة الإيمان وتحديدها عند الغلاة وغيرهم.

* وما سأذكره من فرق غالية في باب أو مسألة، لا يعني أنهم ليس لهم آراء في المسائل الأخرى، وربما نجد تكرار بعض الغلاة كالسبئية في أكثر من مسألة في الغلو في آل البيت والنبوات. . . وهكذا.

والذي تحصّل أن الغلو وفكره وحركاته يمثل في التاريخ الإسلامي سلسلة متصلة من الحلقات، كل حلقة أو حركة غلو لها علاقة بالتي سبقتها، وتكون مؤثرة

فيما يكون بعدها من الفرق، أي أنه «لكل قوم وارث».

يُوضّحه أن مبدأ الغلو عند الخوارج في تكفير علي بن أبي طالب رضي الله عنه نتج عنه غلو معاكس تماماً في تأليه علي والاعتقاد فيه بما لا يجوز إلاّ لله عزّ وجلّ، واعتقاد أنه نبي، أو وصي للنبي ﷺ.

ثم كانت فتنة القدرية بنفي قدرة الله على مرادات خلقه، والتي صاحبها ردة فعل عند الجهمية أتباع الجهم بن صفوان السمرقندي تمثل في القول بالجبر، ثم فتنة تعطيل الله عزّ وجلّ وأسمائه نتيجة لمسلك التشبيه والتجسيم لدى بعض غلاة الروافض الأول.

وهكذا فالمرجئة نتيجة لشدة قول الخوارج والمعتزلة في مرتكب المعاصي....

* والمسلك الذي أسير عليه هو ذكر المسائل التي حصل فيها الغلو ثم تضمينه لبعض الفرق الغالية ـ وهو منهج أبي الحسن الأشعري في المقالات ـ مخالفاً لجمهور أهل المقالات الذين يسردون الفرق ثم يذكرون خلال سردها أقوالهم في مسائل الدين وأصوله.

* * *

أولاً: الغلو في باب صفات الله تعالى

يجدر القول ابتداء أن الغلو في الصفات القدسية للباري جلّ شأنه إثباتاً وتنزيهاً ليست أول المسائل التي وقع فيها الغلو والخلاف، لكننا قد بيناها هنا لكونها من أهم مسائل الدين، ولاستمرار خطر أقوال الغلاة فيها إلى وقتنا الحاضر.

وأول من عرف عنه هذا النوع من الغلو هو الجعد بن درهم ـ معلم مروان بن محمد ـ والذي ضحى به خالد بن عبد العزيز القسري والي العراق من قبل الأمويين لمقالته في خلق كلام الله عزّ وجلّ ونفي خلق الله لفعل عبده سنة (١١٨هـ).

كما قال ابن القيم:

ولأجل ضحى بجعد خالد الـ	قسريُّ يوم ذباع القربان
إذ قال إبراهيم ليس خليله	كلا ولا موسى الكليم الداني
شكر الضحية كلُّ صاحب سنة	لله درك من أخي قربان

وقد تلقى عن الجعد أقواله الجهم بن صفوان الترمذي (١٢٨هـ) أبو محرز وبواسطته انتشرت أقوال الجعد ولكنها نسبت إليه. وقد قتله سَلْم بن أحوز والي خراسان أيضاً.

وصفات الله تعالى عند الفرق بين طرفين ووسط:

ـ فقوم عطلوا الله سبحانه وتعالى عن صفاته ـ وهم الغلاة في التنزيه.

ـ وقوم شبهوا الله بخلقه ـ وهم غالية الإثبات.

ـ وقوم وسط بينهما نجوا مما ما زلت به عقول أولئك فأثبتوا لله صفاته كما جاءت على ما يليق بجلاله وعظمته وعرفوا معانيه وأسندوا علم حقائقها وكيفياتها إلى الله سبحانه وتعالى، وإثباتهم للصفات لم يستلزم منه تشبيه الله وتمثيله بخلقه

اعتماداً على مبدأ قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١]، وهم أهل الكتاب والسنّة والجماعة تلامذة الصحابة والتابعين ومن على نهجهم ساروا.

١ ـــ غالية التنزيه:

وهم الذين أرادوا تنزيه الله تعالى عن مشابهته للمخلوقين فنفوا الصفات الإلهية التي أثبتها الله تعالى في كتابه، وأثبتها له رسوله ﷺ في سنته. فلما نفوها عطلوا ذات الباري عن الصفات فعبدوا إلهاً مجرداً عن صفات، لا يسمع ولا يبصر ولا ينزل ولا يد له....

وهؤلاء هم الجهمية والمعتزلة بفرقها المشهورة[(١)].

* فالجهمية نفوا عن الله صفاته وأسماءه وأثبتوا أنه حيٌّ، وأنه ليس شيئاً، وتوقفوا في إثبات أنه موجود أو أنه غير موجود؟.

* والمعتزلة نفوا الصفات وأثبتوا أسماءً مجردة عن المعاني فقالوا: عليم بلا علم، سميع بلا سمع، متكلم يخلق كلامه... وما قولهم عن الجهمية ببعيد، لكنهم أرادوا التلفيق والتدليس؛ ولذا اسم الجهمية يشملهم في القرنين الثاني والثالث.

أصل شبه المعطلة:

لما وردت صفات الله تعالى في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ حصل توافق

---

(١) مصادر أقوال الجهمية والمعتزلة كتب المقالات والفرق خاصة مقالات الإسلاميين. وأقوال المعتزلة تناولتها بواسطة كتابي القاضي عبد الجبار: المغني في أبواب العدل والتوحيد، وشرح الأصول الخمسة، ولن أعزو لكل فرقة مصادر أقوالها اختصاراً؛ لأن المراد هنا هو إعطاء الصورة عن فكر القوم وعقيدتهم ومواطن الغلو فيها فقط.

(٢) هذا القول على سبيل التنزل معهم على ما ادعوه، وإلاّ فالكيد للإسلام ومحاولة إفساده ظاهرة من بداية نشأتهم. وهم لما تحاجوا مع النصارى واتهموهم بتشبيه المخلوق بالخالق أجابهم النصارى بأنكم تشبهون الخالق بالمخلوق في إثباتكم لله سمعاً وبصراً.. فنفوها. وكذلك عند مناقشتهم لدليل الفلاسفة في قدم العالم ونقضه بالقول بحدوث العالم المسمى بدليل الأعراض في الأحداث ألزمهم الفلاسفة نفي صفات الله لئلا يكون محلاً للحوادث فنفوها.

في أصل المعنى اللغوي بينها وبين صفات المخلوقين، فطلبوا تنزيه الله تعالى[1] عما توهموه، من وجود المشابهة بينه وبين المخلوق ـ فدفعوا هذا بنفيهم للصفات وتأويلها وتحريفها.

مناقشتهم في أصل الشبه:

١ـ لما كان أصل شبهتهم وجود التشابه اللغوي أي تشابه المفردة اللغوية بين صفات الله وصفات خلقه ـ دفعنا هذا التشابه بأخذ مدلولات نصوص الوحي جميعها. فقد دفع سبحانه التشابه بين الصفة نتيجة الاشتراك بالمعنى اللغوي لمفردة الكلمة، بنفيه وجود المشابهة له كما قال: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَيْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١] وقال: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُۥ سَمِيًّا ﴿٦٥﴾﴾ [مريم: ٦٥]، وقال: ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴿٤﴾﴾.

فإذا تقرر عدم مماثلة المخلوقين لله في أيِّ صفة من صفاته وأفعاله ـ ليس كمثله شيء ـ بنفيه المماثلة مطلقاً جملة وتفصيلاً، عُلم أن المعنى الذي يُفهم من تلك الصفات الواردة في النصوص هو المعنى اللغوي الذي يعرفه العرب، ومن سمع تلك الآيات منهم. أما المعنى الحقيقي أو الكيفي لتلك الصفات فليس معلوماً ولا معقولاً لنفيه سبحانه المشابهة به من أي شيء، فكيف ننفي شيئاً لم نعقله أو نحدده؟ أما إثباته فهو إثبات لما عقلناه من معاني الصفات مع تفويض الكيفية إلى الله.

فصفة الاستواء الواردة في مثل قوله: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ﴿٥﴾﴾ [طه: ٥]، المعنى اللغوي لمفردة الاستواء هو: العلو والارتفاع والاستقرار والصعود. . . حسب ما تتعدى به الكلمة، وهذا معروف عند من سمع الآية من العرب، هكذا فهمها الصحابة، أن الله استوى على العرش أي علا وارتفع عليه، أما كيفية استوائه وارتفاعه عليه وحقيقة ذلك فلا يعلمونه ولا يعقلونه لأن العقل لا يمكن تصوره لعظمة الرب سبحانه وتعالى، ولذا لما سئل عن ذلك الإمام مالك قال: «الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه ـ أي عن كيفيته ـ بدعة، وما أراك إلاّ مبتدعاً».

٢ـ كما يُردّ على الجهمية والمعتزلة لما اتفقوا على إثبات أن الله حيٌّ؛ إذ

يستحيل عقلاً أن يعبدوا رباً ليس حياً ـ لاحظ أنهم أثبتوا هذه الصفة لما دلّ عليها العقل وحده ـ يرد عليهم بأنه يلزمكم في إثبات حياة الله تشبيهاً بحياة المخلوقين ـ على منهجكم ـ لأننا لا نعرف حياة إلاّ كحياتهم: فلزمكم فيما نفيتم نظير ما لزمكم فيما أثبتم[1]؛ فالقول في الصفات كالقول في الذات، كما أن القول في الصفات كالقول في بعضها الآخر.

ومفهوم آية الشورى أن الله سبحانه وتعالى نفى مشابهة أحد له نفياً مطلقاً مجملاً عاماً، وأثبت مفصلاً أنه سميع بصير. فالآية تدل على أن الله سميع بصير لا كسمعكم ولا كبصركم، أي لا كسمع أحد من المخلوقين أو بصر أحد منهم، وإنما سبحانه سميع بصير بسمع وبصر يليقان بجلاله وعظمته وكبريائه، كما يليقان بقداسة ذاته. فقطع الاستشراف أو النظر أو الطمع إلى تصور المشابهة أو المماثلة، فضلاً عن وقوعها وحصولها: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝﴾ [الإخلاص: ١ ـ ٤].

٢ ــ غالية الإثبات:

وهم الذين جاوزوا الحدّ الشرعي المعتدل في إثبات صفات الله تعالى فقالوا بمشابهة ومماثلة صفات الله أو ذاته لخلقه.

وهؤلاء هم المشبهة والمجسمة ومن غلاتهم المشهورين:

* البيانية ـ أتباع بيان بن سمعان التميمي الرافضي الذي قتله خالد القسري.

* وأتباع هشام بن الحكم الرافضي (١١٩هـ) وأتباع هشام بن سالم الجواليقي الرافضي وهما أوائل المشبهة في المقالات الإسلامية.

* والمغيرية ـ أصحاب المغيرة بن سعيد العجلي والذي حرقه خالد القسري (١١٩هـ) وكل هؤلاء من غلاة الرافضة.

* والكرامية أتباع محمد بن كرام السجستاني (٢٥٥هـ).

---

(١) قرر هذا الإلزام على الجهمية والمعتزلة وأشباههم ـ تقي الدين بن تيمية في التدمرية ومفصل الاعتقاد من مجموع فتاويه. وذكر له شارح الطحاوية أمثلة في شرحه على الطحاوية. فالله يهب فضله لمن يشاء. وهي قاعدة عظيمة في الرد على كل من عطل صفات الله.

شبه أهل التشبيه:

«فأصل دعواهم بناءً على أنهم يشبهون الخالق بالمخلوق وينسبون إلى الله ما لا يليق بجلاله وكبريائه كالشعر والظفر واللحم. . . والنزول والصعود المَخلُوقَين وغير ذلك، ويجعلون ذاته محلاً للحوادث وأمثال ذلك مما لا يليق به»[1] تقدس الله وتعالى سبحانه علواً كبيراً، مع أن الله له نزول وصعود (علو) غير مخلوق يليقان بعظم ذاته وجلال صفاته.

مناقشتهم في أصل الشبه:

تتمة قول صاحب الفرق المفترقة: «الجواب: نقول: قولهم فاسد؛ لأن الله تعالى بيَّن في كتابه أن لا مثل له ولا شبيه، حيث قال عزّ من قائل: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌ ۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾ [الشورى: ١١] الكاف صلة في قول المفسرين، ومعناه ليس مثله شيء. . الآية حجة على المشبهة والمعطلة جميعاً. لأن أول الآية نفي التشبيه وآخرها إثبات الصفات وهو نفي التعطيل فبطل قول الفريقين» اهـ.

ولأن الرسول ﷺ وأصحابه رضوان الله عليهم أكمل الناس عقولاً وأصفاهم قريحة وأفضلهم علماً، لم يفهموا هذا الفهم السقيم التشبيهي من النصوص المثبتة لله الصفات. ولو كانوا فهموه ـ تنزلاً ـ كفهم أهل التشبيه لنقل إلينا لأنه من أصول الدين وقواعد التوحيد، كيف لا وقد نقل إلينا ما دونه بكثير من دقائق المسائل. . . فنعوذ بالله من الزيغ والضلال، بعد الهداية والرشاد. فإن الشبه اللغوي، أو المتواطىء لغة بين صفات الله ومخلوقيه لا يدل أبداً على مطلق المشابهة! هذا متصور فيما بين الخلق من صفات، لأن إرادة الإنسان غير إرادة الجماد، وأيضاً مشي الإنسان غير مشي الزواحف من الدواب، وهكذا كثير من الصفات. فكيف بين صفات الخالق ومخلوقيه؟ لا شك أن المفارقة متحققة.

* تتمة:

أهل التعطيل، والنفاة يلمزون في أهل السنّة بأنهم مشبهة ممثلة وهذا القول

---

(١) نقل بتصرف من كتاب الفرق المفترقة ص ٧٤.

يحتمل أمرين:

١ـ أنهم يريدون بذلك من قال بالتشبيه من جملة علماء أهل السنّة كمقاتل بن سليمان وداود الجواربي، ومن كان على نهجهم ممن انتسبوا إلى الحديث وروايته.

فربما نوافق هؤلاء على أنهم مشبهة خالفوا منهج السلف في صفات الله وإن انتسبوا إلى أهل الحديث النبوي. فالمعصوم عندنا من عصمه الله والقلوب بين أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيفما شاء. وليس كل من انتسب إلى أهل الكتاب والسنّة وكان ذا فضل وبصيرة يكون كما ادعاه، فالعبرة بمدى موافقته لمنهج أهل السنّة وعقيدتهم، والخطأ مردود على قائله أيّاً كان.

٢ـ أو أنهم يريدون بذلك أهل الكتاب والسنّة والجماعة من الصحابة ومن سار على دربهم، الذين أثبتوا الصفات والأسماء لله بأن أدركوا معاني مفرداتها العربية وفوضوا حقائقها وكيفياتها كما درجوا على قولهم: الكيف مجهول، أو غير معقول.

فإن قصدوا هؤلاء فقد غلطوا غلطاً ظاهراً واضطربت عندهم المفاهيم وانعكست المصطلحات، لأنهم والحالة هذه لم يفهموا كلام السلف ولم يعرفوه[1].

فهل يسمى المثبت للصفات مشبهاً ممثلاً؟ بل هؤلاء هم المثبتة ضد أهل النفي والتعطيل، وليسوا مشبهة لأنهم لا يزالون يقررون قولاً وعقيدة بأن الله ليس كمثله شيء. وتطبيقهم هذا المنهج على أسماء الله وصفاته يوضح هذه الركيزة، لأن الإثبات عندهم بلا تشبيه ولا تكييف، وتنزيه الله عندهم بلا تعطيل ولا تحريف.

---

(١) والواقع أن المتكلمين من المعطلة ـ بالتتبع ـ لا يعرفون قول السلف حق المعرفة، ولا يدرونه ولا يحفظونه.

ولذا إذا ذكروا قولاً فيكتبهم ونسبوه للسّلف الصالح أهل السنة والجماعة، كان هذا القول المنسوب إليهم مخالفاً لقول السلف. وإنما هو أحسن أحواله لازم قول السلف عند هؤلاء المتكلمين!.

وهذا ذكره شيخ الإسلام ابن تيمية في غير ما مناسبة.

فإذا جاء هذا اللمز لأهل السنّة والجماعة ـ أتباع السلف الصالح ـ بأنهم مجسمة أو مشبهة فهو من غلط وجهل في معرفة حقيقة مذهبهم، أو فهم لمعتقدهم حق الفهم علماً وإحكاماً وسلامة.

وأيضاً هذا النبز هو تهمة تشنيع وتلفيق من أولئك لأهل الحق والحديث للترهيب منهم، وللتواطؤ في الصرف عن مذهبهم وأقوالهم.

* * *

ثانياً: الغلو في القضاء والقدر

القدر سرُّ الله في خلقه، والبحث فيه بحث في بحر عميق مظلم، وحيرة عقول وأفهام إلاّ من سلمه الله تعالى، والجدل فيه على غير هدى خطره عظيم يورث الضلال والبعد عن الفطرة السليمة، كما سيورث الشك والشبهة.

* وللقدر مرتبتان متضمنتان أمرين ـ هما:

١ـ الكتابة: فكل ما قدره الله إلى يوم القيامة فهو مكتوب، كما ورد في حديث عبادة بن الصامت لما وصى ابنه قائلاً.

«يا بني إنك لن تجد طعم الإيمان حتى تعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك. سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«إن أول ما خلق الله القلم فقال له: اكتب. قال: ربِّ وماذا أكتب؟ قال: اكتب ما هو كائن إلى يوم القيامة وحتى قيام الساعة»** يا بني سمعت رسول الله ﷺ يقول: **«من مات على غير هذا فليس مني»** رواه أبو داود والترمذي وقال أحمد: حديث غريب من هذه الوجه[1].

فهذه المرتبة ـ أي الكتابة ـ متضمنة علم الله تعالى بما كتب ـ عقلاً وشرعاً ـ قال تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِى ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ إِنَّ ذَٰلِكَ فِى كِتَٰبٍ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ۝٧٠﴾ [الحج: ٧٠].

٢ـ المشيئة والإرادة: فلا يقع شيء في فعل الله وخلقه إلاّ بأمره ومشيئته قال تعالى: ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ۝٣٠﴾ [الإنسان: ٣٠] ولا شك أن مخلوقاته تحت مشيئته.

---

(١) أبو داود في كتاب السنّة ـ باب القدر، والترمذي في كتاب القدر باب ١٧ (قدر الله المقادير قبل أن يخلق السموات والأرض)، ورواه ابن أبي عاصم في السنّة رقم ١٠٢ـ ١٠٨، وقال الألباني: حديث صحيح.

فتضمنت هذه المرتبة الخلق ـ فلما كان العباد فاعلين أفعالاً حقيقة لهم والله تعالى خالقهم، كان خالقاً لأفعالهم بهذا الاعتبار: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ﴿٦٢﴾﴾ [الزمر: ٢٢]، ﴿وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴿٢﴾﴾ [الفرقان: ٢]، فكل مُقدر مخلوق.

قال الآجري في الشريعة ص ٤٩ لما سأله سائل عن مذهبه في القدر: «إنا ننصح السائل ونعلمه أنه لا يحسن بالمسلمين التنقير والبحث عن القدر، لأن القدر سرّ الله عزّ وجلّ، بل الإيمان بما جرت به المقادير من خير وشر واجب على العباد» اهـ.

وقال صديق حسن خان في قطف الثمر ص ٩١:

«فالقدر ظاهره وباطنه، ومحبوبه ومكروهه، وحسنه وسيئه، وقُلّه وكثره، وأوله وآخره من الله عزّ وجلّ، قضاءً قضاه على عباده، وقدرٌ قدَّره عليهم، لا يعد واحد منهم مشيئة الله، ولا يجاوز قضاه، بل كلهم سائرون إلى ما خلقهم له، واقعون فيما قدِّر عليهم وهو عدلٌ منه جلّ ربّنا وعزّ» اهـ.

ذكرت هذا تقعيداً لأهمية المسألة، ولكثرة الاضطراب فيها، فالناس في هذا الباب بين طرفين وهما غلاة نفي فعل العبد وغلاة إثباته، ووسط وهم أهل السنة.

١ ـ الغلاة في نفي فعل العبد وإرادته:

قال به الجعد بن درهم وأخذه عنه تلميذه جهم بن صفوان السمرقندي الترمذي فصار رأياً للجهمية وعُرفوا في هذا الباب بالجبرية[١].

وهو قول الشعيبية من المعلومية والخازمية. من الخوارج من طائفة العجاردة[٢].

لأنهم قالوا: ليس للإنسان حرية؛ لا اختيار ولا قدرة ولا إرادة بل هو كورق في مهب الريح، وميت بين يدي مغسله، وكرجل مكفوف الأيدي والأرجُل رمي في بحر وأمر بالسباحة وألا يغرق.

---

(١) في تطور قولهم في القدر إلى الجبر ـ انظر كتاب القضاء والقدر في الإسلام ٢/ ١٢٩ـ ١٤٥.

(٢) انظرها في المقالات للأشعري ص ١٧٨ ومابعدها، والعجاردة نسبة إلى عبد الكريم بن عَجرد. والاعتقادات للرازي ص ٥١.

وأن نسبة الأفعال إلى الإنسان كنسبتها إلى الجمادات: كجري الماء وجري الدم في العروق ودوران الرحى، وطلوع الشمس هذه نسبة مجاز؛ لأن الله هو الذي خلق فيها هذا الفعل، فالإنسان عندهم مجبورٌ في كل ما يفعله ـ ليست له إرادة بل هو مسير مطلقاً.

وقال بهذا القول بعض المتصوفة ـ كما حكاه ابن تيمية في الحسنة والسيئة ص ١٠٨: «أنهم يوافقون جهماً ـ يعني المتصوفة ـ في مسائل القضاء والقدر وإن كانوا منكرين له في مسائل الصفات» اهـ.

أصل شبهة الجبرية:

منها النصوص الواردة في إثبات أن الله خالق كل شيء والعبد فعله من مخلوقاته. قال تعالى: ﴿ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍۖ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ ۝٦٢﴾ [الزمر: ٦٢] وقوله: ﴿قُلِ ٱللَّهُ خَٰلِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ ٱلْوَٰحِدُ ٱلْقَهَّٰرُ ۝١٦﴾ [الرعد: ١٦] ونحوها. فأفعال العباد واختياراتهم شيء فهي مخلوقة والله خالقها ـ فعليه لا قدرة ولا اختيار للعباد فيكونون مجبورين.

مناقشة هذه الشبهة: من وجوه:

١ـ نعم كل ما في الوجود هو مخلوق لله تعالى فالله خالقه وصانعه وموجده.

٢ـ إرادة العباد واختياراتهم مخلوقة لله باعتبار أنها صادرة من مخلوقات الله ولكونها داخلة في قدرة الله ومشيئته فلا يفعل العبد فعلاً خارجاً عن إرادة الله ـ ذلك لقدرة الله البالغة وإرادته الشاملة سبحانه.

٣ـ الآية لا تنفي حقيقة فعل العبد وتصرفاته واختياره، لكن فعل العبد غير مستقل عن قُدرة الله وقَدرِه، بل داخل فيها. بل ما تدل عليه الآية هو أن كل شيء مخلوق من مخلوقات الله، ونقول نحو: الأفعال للعبد كذلك لا نخرجها من مخلوقات الله. فالإنسان حر مخير بإراداته لكنه لا يخرج عن إرادة الله ومشيئته.

٤ـ الحس والواقع يُحيلان كون العبد مجبوراً على فعله.

وذلك بأن لو قيل لأحد اقذف نفسك في النار، أو كان في داره حريق فلن تجده مكتوف الأيدي يقول: لو أراد الله لي الحريق فسأحترق، بل تراه يسعى فطرةً وجبلةً لإنقاذ نفسه ومَن تحت يده، وهذا لا يقول به عاقل أبداً.

٥ـ يلزم من هذا القول الفاسد ـ قول الجبرية ـ أن يوصف الله بالظلم والطغيان تعالى الله عن ذلك وتكرم.

وذلك أن الله ـ على قولهم ـ لما أجبر العبد على فعل معين كالسكر والكفر مثلاً ـ بأن ارتكب العبد ذلك مجبوراً على قولهم ـ والعبد عندهم لا قدرة له ولا اختيار، فإن عذبه لكفره يكون قد ظلمه لأنه قدر عليه إرادة الشرك والكفر فكيف يقدر عليه ويجبره على فعل ثم يعاقبه عليه؟! ولكن الله سبحانه وتعالى لم يجبره بل ترك له الاختيار بعد أن بيّن مآل الكافر وحكمه ومصيره، والمؤمن، وترك له الاختيار فيكون العبد متحملاً جرم نفسه وإحسانها والله سبحانه منزه عن الظلم، قال تعالى: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾ [فصلت: ٤٦] وقوله في غير ما آية: ﴿وَمَا ظَلَمَهُمُ ٱللَّهُ وَلَٰكِنْ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ۝١١٧﴾ [آل عمران: ١١٧]، والظلم صفة نقص في البشرية فالله سبحانه وتعالى منزه عنها بطريق الأولى. فهل يعقل أن فعل المعصية والطاعة من العبد، كحركة قلبه ونبض عرقه؟!.

٦ـ أيضاً يلزم الله أنه ليس لله حكمة ولا تدبير في خلق الناس وتطليقهم إذا كانوا مجبورين على ما يفعلون، فلم خلقهم ولم أوجدهم؟، بل يكون ذلك عبثاً وسوء تصرف يتنزه الله عنه ويتعالى علواً كبيراً.

قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَٰكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ۝١١٥﴾ [المؤمنون: ١١٥] وقال: ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦ مَآ أُرِيدُ مِنْهُم مِّن رِّزْقٍ وَمَآ أُرِيدُ أَن يُطْعِمُونِ ۝٥٧ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلرَّزَّاقُ ذُو ٱلْقُوَّةِ ٱلْمَتِينُ ۝٥٨﴾ [الذاريات: ٥٦ ـ ٥٨].

وفي الحقيقة من مذهب الجبرية الجهمية نفي الحكمة في مرادات الله ومشيئته.

وسأذكر بعد قول القدرية نماذج من مناظرات تدل على فساد قولهم وتهافتها وسقوطها أمام العقول السليمة.

٢ ــ الغلو في إثبات فعل العبد وإرادته:

أي استقلال قدرة العبد وإرادته عن إرادة الله وقدرته، تعالى الله عما يشركون.

وهم القدرية؛ لأنهم أثبتوا قدرة للعبد مخالفة لقدرة الله فسموا القدرية، وقيل لنفيهم قدرة الله وإرادته في أفعال عباده، والأول أظهر.

وقال بهذه المقولة معبد بن خالد الجهني (٨٠هـ) والذي أخذها عن رجل من النصارى اسمه سوسن ـ كما قال الأوزاعي، وأخذ المقولة عن معبد غيلان بن مسلم الدمشقي (١٠٥هـ) ثم قالت بها المعتزلة.

وهو قول الحمزية ـ أتباع حمزة بن أكرك ـ والميمونية من الخوارج، وقول الكرامية أتباع محمد بن كُرّام الزاهد ـ من المرجئة.

وقولهم: إن العبد يخلق فعل نفسه ويختار بإرادته ومشيئته ثم يوجد الفعل بنفسه وقدرته وحدها. والله مع علمه بذا من عبده ليس له صنع ولا تقدير ولا تدخل ولا تغيير في إرادة عبده[١].

فقال معبد الجهني وغلاة القدرية: لا قدر وأن الأمر أنف[٢]. لم يسبق بإرادة ولا تقدير ولا علم من الله تعالى وإنما يعلم به الله بعد وقوعه.

* فالفرق بين قول عامة القدرية وغلاتهم: هو في نفي علم الله بفعل العبد قبل وقوعه منه أو بعده أو بالتقريب؛ فإن غلاة القدرية ينفون مراتب القدر الأربع جميعها:

١ـ علم الله السابق بكل شيء قبل وقوعه.

٢ـ وكتابته.

٣ـ وإرادته ومشيئته له.

---

(١) انظر قولهم هذا في: المغني وأبواب العدل والتوحيد ٨/٣ وما بعدها، وشرح الأصول الخمسة ص ٣٢٣، ٤٣١، والمقالات ٢٣٨/١، ٢٩٨ـ ٢٩٩، ودراسات العقائد والفرق ٢٦٧ـ ٢٦٩. والقضاء والقدر في ضوء الكتاب والسنة، وأقوال الناس فيه.

(٢) كما في قصة يحيى بن يعمر وعبد الرحمن الحميدي لما قدما على ابن عمر، في مسلم ـ كتاب الإيمان ـ باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان رقم ١.

٤ـ وخلق الله له. بينما عامة القدرية ينفون المرتبتين الأخيرتين الثالثة والرابعة فقط.

أصل شبه القوم:

هو لازم قول الجبرية الذي فروا منه، فقالوا: لو أننا وصفنا الله بالفعل والقدرة والإرادة وقلنا: يريد الكفر والشرك والفسوق من عبده ـ ولو كان العبد هو الفاعل حقيقة والله أراد ذلك ـ للزم منه إتيان فعل الله للقبيح وإرادته وهو الكفر والشرك والفسوق. وأن الله ظلم عباده إذ يقول: ﴿وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿٩٥﴾﴾ [التوبة: ٩٥] فلو عاقبهم بما كتبه عليهم لكان ظالماً لهم (تعالى الله عن قولهم وفهمهم علواً كبيراً) فلا بد أن نجعل العبد خالقاً لفعله مريداً لذلك بدون تعلقه بإرادة الله وخلقه.

مناقشة هذه الشبهة: من وجوه:

١ـ إذا كان العبد من مخلوقات الله ـ قطعاً ـ وفعله وإرادته من خلقه فلماذا خرج عن مخلوقات الله وهو الموجد لها. فالله خلقه، وما خلق وكسب.

٢ـ ضلال الناس ـ المتكلمين في القدر ـ في الفرق بين إرادة الله لحصول الشيء وبين محبته ورضاه به. فليس كل ما يريد الله يرضاه ويحبه؛ فالكفر يريده الله كوناً وقدراً لكنه لا يحبه شرعاً وديناً. وهو الفرق بين الإرادتين الكونية والدينية.

والفرق بينهما أن الله من كمال علمه بما كان ويكون، علم كيف كل ما سيكون ويجري إلى يوم القيامة قبل خلقه العالم والسموات والأرض ـ هذه الإرادة الكونية القدرية.

أما الإرادة الشرعية الدينية التي يرضاها لعباده في فعل العبد ما يحب الله ويرضاه وإطاعة أوامره واتباع هديه ورسله.. من غير حاجة الله إلى ذلك حاجة مضطر أو غاصب فالله ترك لعبده حرية الاختيار بين الحسن والقبيح، والخير والشر. وقد سبق في علمه وقدرته أن العبد سيختار ما يختار وبإرادة العبد ﴿وَمَا تَشَآءُونَ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَـٰلَمِينَ ﴿٢٩﴾﴾ [التكوير: ٢٩]. وذا من كمال علم الله وإرادته وإحاطته سبحانه بكل شيء دق أم كبر.

٣ـ جعل للعبد إرادة وقدرة مستقلة يخلق بها فعله من غير أن يريد الله ذلك أو يخلقه فيه مشابهة للمجوس الذين يجعلون النور إلهاً للخير خالقاً له، والظلمة إلهاً للشر خالقة له. فكل عبد على حدّ قولهم يكون خالقاً ما لا يريد الله أو يخلقه. وهذا معنى قول النبي ﷺ: «**القدرية مجوس هذه الأمة**» رواه أبو داود والحاكم وغيرهم(١). حيث جعلوا العباد خالقين لأفعالهم مع الله الخالق الواحد القهار. بل هم شر من المجوس في هذا.

٤ـ ظلم الله لعبده ممتنع لأن الله جعل لعبده إرادته واختياره، ولم يؤثر فيها ـ كما سيأتي مناظرة المجوس للقدرية ـ يدل لذلك أن العبد لا يدري ما قدّره الله له. فلهذا يفعل كل ما يفعل بمحض اختياره هو؛ فهو إن أراد النكاح لا يقعد في بيته ويعلق الأمر على إرادة الله ويقول إن أراد الله تزويجي تزوجت، بل تجده يفعل السبب من بحث وخطبة.. وهذا فعله بمحض اختياره، ولكن من جهة ثانية فعله هذا سبق به علم الله قبل خلق السموات والأرض وكانت به إرادته الكونية القدرية العامة ـ ولا تضاد بين الجهتين، بل هما منفكتان ـ وهو من كمال علمه وقدرته التي أحاطت بكل شيء، ولا تأثير لما سبق في علم الله وكتابته وتقديره على محض اختيار العبد وإرادته.

٥ـ قوله تعالى: ﴿جَزَآءَۢ بِمَا كَانُواْ يَكۡسِبُونَ ۝٩٥﴾ [التوبة: ٩٥] لا خلاف فيه، فالله يجازي كلاً بما كسب وعمل ولا تعارض مع قدرته وإرادته كما قررنا من أن للعبد إرادة واختيار يعرف الحق ويختاره، بمحض إرادته وهو مع ذلك سابق في علم الله وإرادته. فلا حجة ولا دلالة فيها على أن الله يجازي عباده بما قدره عليهم وأجبرهم عليه. لأن العبد إن فعل الخير فإنه يفعله من اختياره هو ورغبته إليه، وكذا فعله للشر.

٦ـ يلزم على قول القدرية أنه يقع في ملك الله وخلقه، ما لا يريده ولا يقدره، وعند غلاتهم أيضاً مالا يعلمه؟ وهذا وصف لله بالنقص، وهو مما يُقبح

---

(١) رواه أبو داود ـ كتاب السنة باب لزوم السنة رقم ٤٦٩١ـ والحاكم في مستدركه ٨٥، واللالكائي رقم ١١٥٠ـ ١١٥٥، والآجري في الشريعة ص ١٩٠ وابن أبي عاصم في السنة.

المذهب ويرديه.

إذاً سبب خطأ القدرية والجبرية اعتقاد الترادف بين ما يريده الله، وما يرضاه ويحبه، فانطلقوا من هذا لينزهوا الله عن إرادة الشر وظلم العبيد. فقائل بالجبر وقائل بنفي قدرة الله على فعل عبده. هذا مع إحسان الظن والحق ما قلناه، من أن ما يريده الله إرادة عامة لا يستلزم محبته له ورضاه به. وعلى كل فكل دليل صحيح يقيمه كل من الجبري والقدري يدل على فساد قول الآخر.

فأدلتهما ـ الجبرية والقدرية ـ تتكافئان ثم تتساقطان، فلا يبقى عندئذٍ إلاّ القول المتوسط بينهما: قول أهل السنّة والجماعة، وهو الذي تجتمع عليه الأدلة ولا تفترق، وتتوافق ولا تتخالف.

نماذج من مناظرات حول قول القدرية:

حكى القاضي علي بن أبي العز في شرح الطحاوية هذه المناظرة ص ٢٥٠ قال: «وقف أعرابي على حلقة فيها عمرو بن عبيد ـ المعتزلي ـ فقال: يا هؤلاء إن ناقتي سرقت فادعوا الله أن يردها عليّ. فقال عمرو بن عبيد: اللهم إنك لم ترد أن تسرق ناقته فسرقت فارددها عليه. فقال الأعرابي: لا حاجة لي في دعائك. قال: ولم؟ قال: أخاف كما أراد ألا تسرق فسرقت، أن يريد ردّها فلا ترد» اهـ.

أي إن العباد يفعلون ما لا يريده الله وهم السارقون؛ ومعناه تعارض إرادة الخالق مع العبد.

* قال ص ٢٥٠ أيضاً:

«روى عمرو بن الهيثم قال: خرجنا في سفينة، وصحبنا فيها قدري ومجوسي، فقال القدري للمجوسي: أسلم! قال المجوسي: حتى يريد الله. فقال القدري: إن الله يريد ولكن الشيطان لا يريد! قال المجوسي: أراد الله وأراد الشيطان فكان ما أراد الشيطان، هذا شيطان قوي. وفي رواية: فأنا مع أقواهما». اهـ. فتأمل كيف أوقفه لضعف منهجه، وركاكة معتقده!.

* وفي حاشية شرح الطحاوية رقم ٢٤٦:

«دخل عبد الجبار الهمذاني على الصاحب بن عباد وعنده أبو إسحاق الإسفراييني الشافعي فلما رآه عبد الجبار قال: سبحان من تنزه عن الفحشاء!.

فقال أبو إسحاق: سبحان من لا يقع في ملكه إلاّ ما يشاء. فقال عبد الجبار أيشاء ربنا أن يُعصى؟ فقال الإسفراييني: أيُعصي ربنا قهراً؟ فقال عبد الجبار: أرأيت إن منعني الهدى، وقضى عليّ الردى أحسن إليّ، أم أساء؟ فقال الإسفراييني: إن منعك ما هو لك فقد أساء وإن منعك ما هو له فهو يختص برحمته من يشاء. قال: فبهت القاضي عبد الجبار.

* وحكى أبو بكر بن القيم في شفاء العليل مناظرتين:

إحداهما: بين قدري وسني ـ كأنه حاكها بنفسه في الباب العشرين، وهي طويلة.

الثانية: بين جبري وسني في مجلس مذاكرة في الباب التاسع عشر، وهي نحو التي تليها.

*** ملاحظة:**

يتضمن قول غلاة القدرية «معبد الجهني وأتباعه» إنكار علم الله بفعل عبده إلاّ بعد وقوعه وهذا يتضمن إنكار مراتب القدر الأربعة.

فمن أنكر علم الله لزمه إنكار كتابته للمقادير، ثم إرادته لها، ثم خلقه إياها؛ فكيف يخلق ويريد ويكتب مالا يعلم؛ فهؤلاء يكفرون إجماعاً.

وقول عامة القدرية يتضمن نفي الإرادة والخلق، وهؤلاء في كفرهم نزاع بين العلماء!

ثالثاً: الغلو في ذوات الأشخاص

الغلو في هذا الباب من أوسع أنواع الغلو وجوداً عند كثير من الفرق الغالية.

ويشمل:

- الغلو في ذات الرسول ﷺ.
- الغلو في آل البيت.
- الغلو في الصالحين.
- الغلو عند الصوفية.

* فممن غلوا في ذات الرسول ﷺ قوم من جهلة المتصوفة وهم طبقة من طبقت الصوفية الدنيا التي لم تصل إلى القول بالمكاشفة أو وحدة الوجود، والسمة البارزة لهم - عادة - الموالد والاحتفالات والرقص والإطراءات والمدائح وهم كثر في هذا الزمان.

فهؤلاء يرفعون النبي ﷺ فوق منزلته التي هو فيها. من ذلك قول قائلهم البوصيري في القصيدة الميمية في مدح خير البرية:

إن لم تكن في معادي آخذاً بيدي ... فضلاً وإلاّ فقل يا زلة القدم

إلى قوله:

يا أكرم الخلق مالي من ألوذ به ... سواك عند حلول الحادث العمم

ولن يضيق رسول الله جاهك بي ... إذا الكريم تحلى باسم منتقم

فإن من جودك الدنيا وضرتها ... ومن علومك علم اللوح والقلم

* ومن الغلو في عليّ وآل بيته: غلو السبئية والكيسانية - أتباع كيسان مولى علي والمختار بن أبي عبيد الثقفي (٦٧هـ) - والخطابية - أتباع أبي الخطاب الأمهدي - والجناحية - أصحاب ذي الجناحين (١٢٩هـ)؛ كلهم من الروافض، والنصيرية - نسبة إلى محمد بن نصير النميري - غلو في عليّ وسلمان الفارسي.

فجامع القول لهؤلاء الغلاة: هو إلهية علي بن أبي طالب وأولاده وقول بعضهم: إن الله حل بهم. وقالوا: إن علياً في السماء وصوته الرعد وسوطه البرق.

ومن غلاة الرافضة الإمامية بدعوى عصمة الأئمة الاثني عشر مطلقاً؛ وهم علي وأبناؤه: الحسن والحسين، وزين العابدين ابنه، وابنه محمد الباقر، وابنه جعفر الصادق، وابنه موسى الكاظم، وابنه علي الرضا، وابنه محمد الجواد، وابنه علي الهادي، وابنه الحسن العسكري، وابنه محمد بن الحسن الذي يلقبونه بالمهدي وهو الذي دخل السرداب في سامراء صغيراً!.

* ومن الغلو في الصالحين، غلو الأتباع المتأخرين في أناس صالحين عباد اشتهروا بذلك. منهم:

- أتباع عبد القادر الجيلاني (٥٦١هـ). ونسبته في الحقيقة الجيلي.
- أتباع عدي بن مسافر الأموي (٥٥٥هـ).
- أتباع الجنيد. وغيرهم.

فهؤلاء الصالحون كانوا زهاداً متمسكين بشرع الله راغبين عن الدنيا ومباحاتها. وكانوا على طريقة صحيحة موافقة للشرع وقواعده في الجملة لكن أتباعهم مع مرور الزمن، وبعدهم عنهم غلوا فيهم وزادوا في منزلتهم فادعوا فيهم الكرامة ثم النبوة ثم عبدوهم من دون الله، فزينوا قبورهم وبنوها، وقبّبوها ورفعوها عن الأرض واستغاثوا بهم حتى تكررت صورة قوم نوح مع الصالحين تماماً.

وهؤلاء يسمون أحياناً بالقبورية نسبة إلى سكونهم عند المشاهد وكثرة ترددهم عليها بقصد الدعاء والعبادة والتقرب إلى أصحابها والاستشفاع بهم والنذر والذبح لهم... إلخ.

- ومن الغلو عند الصوفية في أصحاب مراتبهم العالية:
- كالغلو في الحسن بن منصور الحلاج (٣٠٩هـ).
- الغلو في محيي الدين بن عربي الطائي المكي (٦٣٨هـ).
- الغلو في عبد الحق بن سبعين (٦٦٩هـ).

وغيرهم من الزنادقة الذين ادعوا الولاية - ثم ختم الولاية - بل ادعوا الإلهية وحلول الله بهم وأن الوجود واحد، في الخالق والمخلوق، لا تمايز بينهما، أو

قالوا باتحاد الخالق مع خلقه أو آحادهم... وهذا كفر وزندقة لا مرية فيها.

تلك نماذج من الغلو في الأشخاص صالحين أو زنادقة كافرين. وسيكون الكلام حول الغلو في ذات النبي ﷺ لأمرين:

١ـ لكثرتهم في هذا الزمان ومحاولتهم الاستشهاد ببعض الأدلة الموهمة لمقاصدهم.

٢ـ تلبيسهم على الناس باستخدام وسيلة عاطفة المسلمين تجاه النبي ﷺ وآل بيته، ولكون فسادهم أكثر وقوعاً مع مرور الأزمان من غيرهم.

أما الغلو في آل البيت ـ كحال غلاة الرافضة ـ والغلو في الصالحين والغلو في زنادقة الصوفية، فالنظر في أحوالهم أبلغ من الرد عليهم لفساد عقولهم وقلوبهم وسقوط شبههم، بل وصراحة كفرهم بواضح البيان وصريح القرآن.

أصل شبه الغلاة في ذات النبي ﷺ:

وذلك لما رأوا إن النبي ﷺ خليل الرحمن، وصاحب الشفاعة العظمى يوم القيامة، وبركاته ﷺ على أصحابه في حياته لما توسلوا به ليدعوا لهم فحقق الله دعوتهم.

وكذلك لما رأوا تعظيم النصارى لعيسى ابن مريم وغلوهم فيه، قالوا: نحن أحق بهذا التعظيم منهم لمن هو أفضل منه: رسول الله ﷺ، فسلكوا طريقتهم فاحتفلوا بميلاده، من ثم دعوه من دون الله، توسلاً ودعاءً واستشفاءً واستنصاراً ومدداً.

الجواب على أصل الشبهة: من وجوه:

١ـ كونه ﷺ خليل الرحمن وحبيبه، وتحقق الشفاعة العظمى وغيرها له يوم القيامة، كل هذا حق لا مرية فيه.

لكن هذا ليس بمسوغ لنا رفعه فوق منزلته، وطلب الشفاعة منه بعد وفاته مباشرة؛ لأنه لا يشفع إلاَّ بعد إذن الله ورضاه عن الشافع والمشفوع له قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ لَّا تَنفَعُ ٱلشَّفَٰعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ ٱلرَّحْمَٰنُ وَرَضِىَ لَهُۥ قَوْلًا ﴿١٠٩﴾﴾ [طه: ١٠٩].

٢ـ سؤاله ﷺ الحاجات والاستغاثة به بعد موته، شرك في عبادة الله وتوحيده.

وتأمل عبارات البوصيري في بردته وغيره تجد فيها الشرك الأكبر، فكيف

يكون الشرك برسول الله ﷺ وجعل خصائص الإله له ـ من محبته وتعظيمه ـ من التوحيد لله؟

٣ـ الصحابة رضي الله عنهم أكمل الناس محبة له ﷺ بشهادة الخبر والواقع واختيار الله تعالى أمثالهم لصحبة نبيه. ومع كمال محبتهم لم يسوّغوا لأنفسهم إطراء النبي ﷺ ومدحه فوق منزلته التي شرفه الله بها، وهي العبودية والرسالة. كيف وقد نهى الله عما يقوم به هؤلاء الجهلة من الصوفية؛ قال تعالى: ﴿قُل لَّآ أَقُولُ لَكُمْ عِندِى خَزَآئِنُ ٱللَّهِ وَلَآ أَعْلَمُ ٱلْغَيْبَ وَلَآ أَقُولُ لَكُمْ إِنِّى مَلَكٌ إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَىٰٓ إِلَىَّ﴾ [الأنعام: ٥٠] وغيرها مما هو في معناها.

٤ـ لما حاول بعض حديثي عهد بالإسلام مدحه نهاهم ﷺ؛ كما ورد في البخاري عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ على المنبر:

«لا تطروني كما أطرت النصارى ابن مريم، فإنما أنا عبدٌ فقولوا: عبد الله ورسوله»[1].

والإطراء هو: مجاوزة الحد في المدح، والذي هو سبيل من سبل الغلو فيه صلى الله عليه وآله وسلم.

وحديث عبد الله بن الشخير لما قدم في وفد بني عامر فقالوا: يا رسول الله ﷺ أنت سيدنا فقال: **«السيد الله تبارك وتعالى»**، قلنا: وأفضلنا فضلاً وأعظمنا طولاً، فقال: **«يأيها الناس قولوا بقولكم أو بعض قولكم ولا يستجرينكم الشيطان، أنا محمد عبد الله ورسوله، ما أحب أن ترفعوني فوق منزلتي التي أنزلني الله عزّ وجلّ»**. رواه أبو داود بسند جيد، وما نهيه ﷺ إلاّ حماية لجناب التوحيد وخوفه من الشرك فيه كما حصل عند النصارى، بل وعند اليهود.

ولذا في الصحيحين عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما نزل برسول الله ﷺ ـ الموت ـ طفق يطرح خميصة له على وجهه فإذا اغتم بها كشفها فقال وهو كذلك: **«لعنة الله على اليهود والنصارى اتخذوا قبور أنبيائهم مساجد»** يحذر ما صنعوا، ولولا ذلك لأبرز قبره، غير أنه خشي أن يتخذ مسجداً.

---

(١) رواه البخاري في كتاب الأنبياء ـ باب قوله: ﴿وَٱذْكُرْ فِى ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ﴿١٦﴾﴾ [مريم: ١٦].

رابعاً: الغلو في باب النبوة

الأنبياء والمرسلون هم قوم اصطفاهم الله واختارهم، وأوحى إليهم تبليغ شرعه وأمره ونهيه إلى الناس: ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ﴾ [الحج: ٧٥].

فالنبوة مرتبة رفيعة، ومنزلة عظيمة يتصل بها النبي ﷺ بالله بواسطة وحيه المنزل عليه.

ـ ولقد زعمت الفلاسفة أن النبوة يمكن أن تكتسب اكتساباً فلا تتعلق باصطفاء الله تعلقاً تاماً؛ فالعبد عندهم بمداومة العبادة والرياضة، يمكن أن يصل إليها ويكتسبها، كالتجارة.

وهي عند الصوفية نوع آخر حيث الولاية عندهم أفضل من النبوة كما يقول محيي الدين بن عربي في فصوصه ـ بواسطة شرح الطحاوية ص ٤٩٣:

مقام النبوة في برزخ فويق الرسول ودون الولي

والولاية عندهم تكتسب بطريقة العبادة المتواصلة ورياضة النفس بها أو بطريق الفلسفة الموصل إلى الحقائق ومعرفة كنه الأمور وانكشافها.

وعوداً من قول الفلاسفة حيث قد انتقصوا نبوة الرسل والأنبياء المبعوثين من الله وبالغوا في ذلك، فجعلوهم أنبياء إلى عوام الناس، فقالوا عبارتهم المشهورة: الفلسفة نبوة الخاصة والرسالة نبوة العامة.

* ومن غلا في النبوة وادعاها لنفسه أو لغيره أقوام كثيرة منذ حياة النبي ﷺ؛ فقد ادعاها مسيلمة الحنفي الكذاب، وادعاها الأسود العنسي، وسجاح التميمية، وطليحة الأسدي، لكنهما تابا وأسلما وحسن إسلامهما.

وقد أخبر النبي ﷺ بمن سيدعي النبوة بعده وأنهم قريباً من الثلاثين كما ورد في حديث أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: **«لا تقوم الساعة حتى يبعث دجّالون**

كذّابون قريباً من ثلاثين كلهم يزعم أنه رسول الله» متفق عليه[1].

* * وممن ادعت النبوة لرجل منهم أو لغيره فرق:

* السبئية: ففي إحدى مراحل تطورها نحو الغلو ادعت النبوة لعلي بن أبي طالب ثم ادعت له الإلهية.

* الغرابية: قالوا: إن جبريل أخطأ في أداء الأمانة فبدلاً من أن يعطيها عليّ ابن أبي طالب أعطاها محمداً ﷺ لأن محمداً يشبه علياً، شبه الغراب بالغراب.

* والنصيرية: ادعت النبوة لمحمد بن نصير النميري قبل دعواهم له بالإلهية.

* والبيانية: ادعوها لبيان بن سمعان، وزعمها هو لنفسه تحريفاً لقوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝١٣٨﴾ [آل عمران: ١٣٨].

* المغيرية: أتباع المغيرة بن سعيد العجلي (١١٩هـ)، فزعم المغيرة أن جعفراً الصادق ـ الذي زعموا ألوهيته ـ قد بعثه رسولاً.

* والشريكية قالوا: إن علياً شريك لمحمد بالنبوة لحديث: **«أنت مني بمنزلة هارون من موسى»**. وهؤلاء كلهم من غلاة الرافضة.

* والطريفية ـ أتباع صالح بن طريف من خوارج المغرب، حيث ادعى النبوة فيه وفي أبنائه. وقال السكسكي في البرهان: إن صالحاً هذا كان رافضياً.

* وقالت قرامطة البحرين ـ أتباع أبي سعيد الجنابي ـ بنبوة عبد الله بن الحارث الكندي.

* وفي هذا الزمان ادعت القاديانية النبوة فقد ادعاها محمد غلام القادياني (١٣٢٨هـ)[2].

---

(١) رواه البخاري في كتاب المناقب ـ باب علامات النبوة في الإسلام، ومسلم في كتاب الفتن وأشراط الساعة ـ باب لا تقوم الساعة حتى يمرّ الرجل بقبر الرجل فيتمنى أن يكون مكانه رقم ٢٩٢٣.

وهل حقيقة العدد مرادة، أم المراد التكثير؟ المسألة محل بحث وتأمل!.

(٢) ذكر ذلك أبو الحسن الندوي في القادياني والقاديانية ص ٧٦ـ ٧٧، ١٢٩ـ ١٣٣ حيث وقف على كتب غلام أحمد لا سيما وأنه من بني لغته، وانظر: كتاب إحسان إلهي ظهير ـ القاديانية ص ١٦٠ـ ٢٥٥.

* وكذلك البابية: ادعى النبوة منهم علي محمد الشيرازي (١٢٦٥هـ).

* وكذلك البهائية: ادعت النبوة في حسين بن علي المازنداري (١٣٠٩هـ).

هؤلاء غالب من انتشرت عنهم هذه الدعوى ونلاحظ أنهم يرجعون إلى الرافضة والباطنية والقرامطة. وهذه الدعوى قليلة عند غيرهم.

- فمنهم من يدعي أن علياً إله قد بعثه رسولاً - كادعاء المغيرة بن سعيد العجلي.

- ومنهم من يدعي أن القرآن دلّ على نبوته بتحريفه له - كبيان بن سمعان.

وقول القوم أبين من أن يُرد عليهم، فهو ظاهر الفساد يدرك ذلك عامة المسلمين قبل متعلميهم.

قطعية ختم النبوة بنبوة محمد ﷺ:

١- دلالة النصوص القطعية تدل على أن محمداً ﷺ هو خاتم النبيين.

قال تعالى: ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [الأحزاب: ٤٠].

ولقد تواتر تواتراً معنوياً في الآثار النبوية ختم نبوته ﷺ، كما سبق في حديث الدجالين الكذابين. وما روى سعد بن أبي وقاص: أن رسول الله ﷺ خرج إلى تبوك واستخلف علياً على المدينة فقال: أتُخلِّفني في الصبيان والنساء. فقال عليه السلام: **«ألا ترضى أن تكون مني بمنزلة هارون من موسى؟: ألا إنه ليس نبي بعدي»** متفق عليه[1].

كناية عن قربه رضي الله عنه عن النبي ﷺ، لكنه ليس نبياً، يدل عليه قوله: **«ألا إنه لا نبي بعدي»**. فلا مستمسك للشريكية بمثل هذا الحديث؛ لأن آخر الحديث ينقض عليهم غزلهم إن كانوا قد غزلوا عليه من أوله.

وقضية ختم النبوة بمحمد ﷺ قضية محسومة بالشهادة بأنه رسول الله ﷺ لا مجال للنقاش فيها البتة. ومن اعتقد بوجود رسول أو نبي أو وصي بعده فقد خرج

---

(١) رواه البخاري في كتاب المغازي - باب غزوة تبوك، ومسلم في كتاب فضائل الصحابة - باب فضائل عليّ بن أبي طالب رقم ٢٤٠٤.

عن شريعته ودينه، وهو الكفر الصراح الناقض للإسلام!.

٢ـ تحريفهم للنصوص القرآنية كزعم الرافضي بيان بن سمعان للنبوة من قوله تعالى: ﴿هَٰذَا بَيَانٌ لِّلنَّاسِ وَهُدًى وَمَوْعِظَةٌ لِّلْمُتَّقِينَ ۝﴾ [آل عمران: ١٣٨].

فهذا قول بغير علم على الله، بل بهوى وكذب، فلا تلازم بين اشتراك الأسماء ودلالة كل اسم على الآخر. فالله وصف القرآن بأنه بيان للناس وهدى لهم كافرهم ومؤمنهم، وفيه هدى وشفاء ومواعظ وعبر للمؤمنين كما يدل عليها سياق الروايات قبله.

وليست الإشارة إلى هذا الكذاب الذي لم يوجد قبل نزول الآية، وإن وجد فهو يتهم الرسول الذي لم يخبر صحبه بأن هذا هو النبي المنصوص بالقرآن، والذي هو كتم للعلم عند الحاجة إليه في أمر من أهم الأمور.

والواقع أن بيان بن سمعان كان مضلاً للناس ولم يكن بياناً كاسمه أي إنه ليس له من اسمه نصيب فانظر إلى النقائض.

وعلى سبيل النزول على رأيه، أين الدلالة من الآية والتصريح بنبوته نصاً؟! لكن شأن القوم التفسير الباطني والقول الباطني الخبيث القادح في الشرائع المكذب لله ورسوله، بمقتضى العقل واللغة الصحيحين السليمين.

وهذا القول لا يقول به عاقل فضلاً عمن ينتسب إلى العلم. لكن عقول تمكن منها الشيطان فسلبها خيرها، وأودع فيها شرها، حسبك بمثل هذا القول يصدر منها، وينتسب إليها، ولا حول ولا قوة إلاّ بالله!

* * *

خامساً: الغلو في باب الأسماء والأحكام

ما المراد بالأسماء والأحكام؟:

هذا المصطلح حادث لم يكن معروفاً عند الرعيل الأول من السلف الصالح، وإن كان موجوداً بمعناه وأحكامه.

ـ **فالأسماء**: هو ما يسمى العبد به في الدنيا من الأسماء الدينية: مؤمن، كافر، فاسق، عاصٍ، منافق...

ـ **والأحكام**: هو ما يُحكم عليه به في الآخرة: في الجنة أو مخلد في النار، أو غير مخلد فيها.

وهذا المبحث هو ثمرة الخلاف في مسمى الإيمان وحقيقته. فكل من كان له قول في الإيمان تجد له في نهاية قوله تقريراً في حكم العبد في الآخرة، واسمه في الدنيا.

لأجل هذا سيكون الكلام ابتداءً على الغلو في باب الإيمان بين الطوائف ويتضمن الأسماء والأحكام كنتيجة له.

* **أهل السنّة والجماعة** يعتقدون أن الإيمان يكون بثلاثة أمور:

١ـ قول باللسان.

٢ـ اعتقاد بالقلب والجنان.

٣ـ عمل بالجوارح والأركان.

مع زيادته بطاعة الرحمن، ونقصانه بطاعة الشيطان، وأصل هذا القول مستفاد من استقراء الكتاب والسنّة، وفهم الصحابة لهما، ودلالة لغة العرب لألفاظهما.

وعليه فالعبد عند أهل السنّة بمقتضى النصوص اسمه في الدنيا مؤمن ما لم يكن صاحب كبيرة مُفسِّقة أو مُكفِّرة.

فإن كانت له مُفسقة فيسمونه مؤمناً ناقص الإيمان بحسب معصيته، أو مؤمناً فاسقاً، ويعامل معاملة المسلمين إلاّ في الشهادة ونحوها، وهو يوم القيامة من أهل الجنة تحت مشيئة الله إن شاء عذبه بكبيرته أو غفر له برحمته، وإن عذبه بها فإنه لا يخلد في نار جهنم لأنه مسلم معه أصل الإيمان.

وإن كانت بدعة مُكفرة فيقام عليه حدّ الردّة ويسمونه كافراً لإجراء أحكام الكافر عليه، وهو يوم القيامة ـ أي الكافر ـ مخلد في النار، لكنهم لا يشهدون لمعين ـ ولو أقيم عليه حدّ الردّة ـ أنه من أهل النار المخلدين فيها لعدم اطلاعهم على ما ختم الله به عمله من توبة نصوح، وكذلك الشهادة بالإيمان؛ لا يشهدون لمعين بأنه من أهل الجنة، إلاّ من نصَّ عليهم الدليل كالعشرة المبشرين بالجنة وعكاشة بن محصن ونحوه رضي الله عنهم أجمعين.

الفرق الغالية في هذا الباب:

اتفق الخوارج والمعتزلة مع أهل السنّة على تعريف الإيمان وفارقوهم في تطبيقه حتى غلوا في الأسماء والأحكام.

* **فغلت الخوارج وقالت**: صاحب الكبيرة اسمه في الدنيا كافر حلال الدم والمال، وحكمه يوم القيامة أنه مخلد في نار جهنم.

* **وقالت المعتزلة**: هو ـ أي صاحب الكبيرة ـ في منزلة بين المنزلتين ليس بمؤمن ولا كافر، هذا في الدنيا وربما يسمونه فاسقاً، لكن على غير معناه عند أهل السنّة والجماعة؛ بل فسقاً ينقله عن مرتبة الإيمان ولا يدخله إلى دركة الكفر، وحكمه يوم القيامة أنه خالد مخلد في النار.

فاختلافهم مع الخوارج في اسمه في الدنيا، فلم يصرحوا بقول الخوارج مع أنهم وافقوهم في الحكم الأخروي الذي يكون نتيجة لما قبله من عمل؛ ولهذا سُموا «مخانيث الخوارج».

* **وقالت الجهمية**: والصالحية ـ أصحاب أبي الحسن الصالحي المعتزلي ـ والثوبانية، والغسانية ـ أتباع يونس بن عون النميري ـ والشبيبية ـ أتباع محمد بن شبيب ـ، وكذا قال غيلان بن مسلم الدمشقي؛ قالوا:

الإيمان هو المعرفة والإقرار بالله ورسوله بالقلب فقط، وإن لم يكن معه قول

اللسان أو عمل الجوارح؛ فكل عارف لله بقلبه في الدنيا هو من أهل الجنة. والعكس بالعكس.

ولذا قال ابن القيم في النونية حاكياً مذهب جهم وأضرابه:

قالوا وإقرار العباد بأنه ... خلاقهم هو منتهى الإيمان

والناس في الإيمان شيء واحد ... كالمشط عند تماثل الأسنان

وهؤلاء هم المرجئة المحضة.

* **وقالت الكرامية** - أصحاب محمد بن كرام السجستاني الزاهد، - وقول النجارية - أتباع الحسين بن محمد النَّجار من المعتزلة، - والمقاتلية - وهم مقاتل بن سليمان وأتباعه؛ قالوا:

الإيمان هو مجرد النطق بالتوحيد بلسانه.

فمن نطق بالتوحيد عندهم فهو مؤمن كامل الإيمان وهو في الآخرة في جنان النعيم.

والكرامية في المشهور عند العلماء هم من عامة الكرامية، أو قل عوامهم ومتوسطيهم!.

* **وقالت الأشاعرة**، وهو ظاهر قول الماتردية:

إن الإيمان هو التصديق بالقلب فقط.

فافترقوا عن المرجئة المحضة بزيادة التصديق على إقرار القلب!

وعلى قول الأشاعرة والماتردية يُحمل قول شارح الطحاوية ص ٣٣٢:

«فمنهم من يقول: إن الإقرار باللسان ركن زائد ليس بأصلي، وإلى هذا ذهب أبو المنصور الماتريدي رحمه الله، ويروى عن أبي حنيفة رضي الله عنه» اهـ.

* قلت: أما قول أبي حنيفة فهو غريب عنه، إذ أن المشهور عنه رحمه الله كما في شرح الفقه الأكبر ص ١٢٤-١٢٩ قوله:

«الإيمان هوالإقرار والتصديق، وإيمان أهل السموات لا يزيد ولا ينقص من جهة المؤمن به، ويزيد وينقص من جهة اليقين والتصديق، والمؤمنون مستوون في الإيمان والتوحيد، متفاضلون في الأعمال» اهـ.

وهذا الذي اشتهر عند الحنفية وذكره شارح الطحاوية هو ما قرره أبو جعفر

الطحاوي الحنفي في عقيدته، ولذا يسمون عند أهل العلم «مرجئة الفقهاء».

أما قول أبي منصور الماتريدي فلم أقف عليه، ولو صحّ لكان خلافه مع الجهمية ـ أصحاب المعرفية بأن الإيمان معرفة بالقلب بالله ورسوله ـ خلافاً لفظياً إذ أن اللسان ركن زائد ليس أصلياً.

وعلى هذا فالمرجئة مراتب هي:

١ـ المرجئة المحضة، القائلين بأن الإيمان هو المعرفة بالقلب فقط، والكفر هو الجهل.

٢ـ عوام المرجئة «الكرامية» القائلين بأن الإيمان هو الإقرار باللسان فقط.

٣ـ الأشاعرة والماتردية: القائلين بأن الإيمان هو التصديق بالجنان.

٤ـ مرجئة الفقهاء: القائلين بأن الإيمان هو التصديق بالجنان والإقرار باللسان.

مناقشة أقوال الغلاة:

* قول الجهمية أظهر من أن يناقش فهو أفسد الأقوال؛ لأن من لوازمه الشهود بالإيمان لأكفر خلق الله، مَنْ كفرهم الله في كتابه، كإبليس وفرعون وقومه وأمية بن خلف.. فلازم قولهم أنهم مؤمنون؛ لأنهم جميعهم مقرون بالله وبرسوله في قلوبهم، كما حكاه الله عنهم في غير ما آية في كتابه العزيز.

* أما الخوارج والمعتزلة فمن أظهر شبههم التمسك بقوله تعالى: ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَآؤُهُۥ جَهَنَّمُ خَٰلِدًا فِيهَا وَغَضِبَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُۥ وَأَعَدَّ لَهُۥ عَذَابًا عَظِيمًا ﴿٩٣﴾﴾ [النساء: ٩٣].

فقالوا: هذا مؤمن ارتكب معصية وكبيرة بقتله مؤمناً آخر عدواناً وتعمداً، فالله تعالى جعله مخلداً في ناره، ولا يخلد في النار إلاّ الكافر؛ فدل على أنه كافر مخلد في النار بكبيرته، وعلى هذا باقي المعاصي.

* والردّ عليهم من عدة وجوه:

١ـ أن الله ذكر الخلود في الآية ولم يذكره على التأبيد كقوله عن أهل الجنة: ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا رَّضِىَ ٱللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا۟ عَنْهُ﴾ [البيّنة: ٨].

وكقوله عن أهل النار في ثلاثة مواضع من القرآن في أواخر النساء والأحزاب

والجن ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا﴾ فصرّح سبحانه فيها بالخلود مع التأبيد.

فعليه يكون المراد بالتخليد في هذه الآية المكث الطويل، خاصة أن معصية قتل النفس التي حرم الله من أكبر الكبائر بعد الشرك بالله، كما دل عليه حديث السبع الموبقات، فدل على عظم هذا الجرم وكبره لا على كفر فاعله!

٢ـ أن الله تعالى في أحكام القصاص سمى القاتل أخاً للمقتول، كما في قوله تعالى: ﴿فَمَنْ عُفِيَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ١٧٨].

فلو كان القاتل كافراً لما جاز أن يسميه الله أخاً للمؤمن؛ لأن الأخوة مودة ولا تكون إلاّ للمؤمن ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

٣ـ يجوز العفو في القصاص إلى الدية، وإلى لا شيء تكرماً وتفضلاً، فلو كان القاتل كافراً مرتداً، لم يجز إسقاط الحد عليه بالعفو، للحديث **«من بدل دينه فاقتلوه»** ولحديث **«لا يحل دم امرىء مسلم إلاّ بإحدى ثلاث: الثيب الزاني، والنفس بالنفس، والتارك لدينه المفارق للجماعة»**.

٤ـ القاتل لو أقيم عليه الحد لصلي عليه وغسل ودفن مع المسلمين في مقابرهم وجازت الصدقة عنه. . . . وعليه إجماع السلف.

ولو كان كافراً ترتبت عليه أحكام المرتدين ولم يجز له ما سلف من الأحكام المخصوصة بالمسلمين فقط.

٥ـ قال بعض العلماء: إن الآية خاصة في الذين يستحلون القتل، فإن كان كذلك فهو كافر لا شك فيه، لكن ظاهر الآية يبعد عن هذا التأويل والتفسير!.

٦ـ على سبيل التنزل معكم فهذه الآية خاصة بمن يقتل مؤمناً متعمداً فلا يدخل معها غيرها من المعاصي كالسرقة والرجم والقذف. . . إلخ.

٧ـ عموم قوله تعالى في آيتي النساء: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَن يُشْرَكَ بِهِۦ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَٰلِكَ لِمَن يَشَآءُ﴾ [النساء: ٤٨].

ولا شك أن القتل دون الشرك بالله إجماعاً؛ فهو داخل تحت المشيئة في هذه الآية.

* **أما عن شبهة الكرامية في قولهم:** إن الإيمان هو القول باللسان فقط؛ لأن

الله دعا الناس إلى الإقرار به، وبالكتب المنزّلة، كما في قوله تعالى: ﴿قُولُوٓا۟ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ﴾ [البقرة: ١٣٦]، فالله لم يأمرنا هنا إلاّ بالقول، فدل على أن الإيمان يتوقف عليه.

فالجواب عنهم: كذلك من وجوه:

١ـ غاية ما تدل عليه الآية الأمر بالإيمان بالله والكتب السماوية والأنبياء من قبل الله، وألا يفرق بين رسله فيُؤمن ببعض ويُكفر ببعض، فليس في الآية دلالة على اقتصار الإيمان على القول فقط.

٢ـ الآية اللاحقة لها مباشرة فيها: ﴿فَإِنْ ءَامَنُوا۟ بِمِثْلِ مَآ ءَامَنتُم بِهِۦ فَقَدِ ٱهْتَدَوا۟﴾ [البقرة: ١٣٧]؛ أي آمن أهل الكتاب وغيرهم بمثل ما آمنتم به أنتم من الإيمان بالله وملائكته وكتبه ورسله... وبعضها لا يكون إلاّ بالقلب فدل على عدم اقتصار الإيمان على القول المجرد.

٣ـ في هذه الآية تنويه بأهم أنواع الإيمان ولم تستغرق الآية جميع أنواع الإيمان «بالله وملائكته...». وشعب الإيمان كثيرة، وفي باقي النصوص تكميل لجميع أنواع الإيمان؛ قال تعالى: ﴿وَلَـٰكِنَّ ٱلْبِرَّ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةِ وَٱلْكِتَـٰبِ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾ [البقرة: ١٧٧] وغيرها، فالقرآن يؤخذ جميعه لا بعضه، وكذلك السنة، حيث وردت نصوص تكفر من اعتقد الإيمان بكل مراتبه الست ثم لا يصلي، أو استحل معصية ظاهرة الحرمة، قطعية الدلالة على حرمتها.

٤ـ هذا القول يعارض قوله تعالى: ﴿۞ قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا ۖ قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَـٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا﴾ [الحجرات: ١٤].

فنفى الله عن الأعراب الإيمان مع أنهم نطقوا بكلمة التوحيد، لكن لم يدخل الإيمان إلى قلوبهم، إلاّ أن قصدوا بذلك الإسلام ـ أي بالإيمان الإسلام فلا تعارض بين الآيتين.

٥ـ يلزم من قولكم أن الإيمان مجرد النطق باللسان فقط، الحكم على المنافقين الذين شهدوا بألسنتهم أنهم مؤمنون كاملو الإيمان، وهذا خلاف صريح الكتاب؛ قال تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ فِى ٱلدَّرْكِ ٱلْأَسْفَلِ مِنَ ٱلنَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا ﴿١٤٥﴾﴾ [النساء: ١٤٥]، ولغيرها من الآيات الدالة على كفرهم وتكذيبهم ومآلهم إلى النار.

٦ـ كما يلزم من هذا القول أن من به مرض كالأخرس، ولا يستطيع أن يتكلم بلسانه ـ مع تصديق قلبه وإيقانه بالإيمان ـ يلزم أنه كافر، وهذا خلاف إجماع المسلمين.

وعلى كل، فإن قصر الإيمان على مجرد النطق به ـ مع لزومه ابتداءً ـ قول باطل مخالف لظاهر النصوص من أهل السنّة والجماعة وإجماع المسلمين، وفعل الرسول ﷺ مع من يسلم حديثاً.

* أما عند القائلين بأن الإيمان هو التصديق، وهو قول الأشاعرة والماتردية، فهو باطل أيضاً.

ـ لأنه لو كان كذلك لما صح وجوب تلفظ الكافر بالتوحيد ـ الشهادتين ـ عند دخوله الإسلام، وهو ما فعله النبي ﷺ وأصحابه والمسلمون بعدهم مع مريد الإسلام من الكفرة.

ـ وأيضاً لما صحّ تكفير أحد من الناس، يأتي بناقض من نواقض الإسلام، أو يترك الصلاة عمداً أو تهاوناً.. ما دام عنده تصديق بالقلب وحده!

فإن هذين مما يبينا فساد قولهم وبعده عن الصواب.

* وكذلك قول مرجئة الفقهاء بأن الإيمان هو: الإقرار والتصدي، يخالف عمل رسول الله ﷺ والمسلمون بعده من فرضية عمل الإيمان بالصلاة والحج والصوم والجهاد وربط كثير من الأعمال بالإيمان.

بل هم يعارضون قولهم فيما يقررونه في فقههم بوجوب العمل بدءاً من كتاب الطهارة إلى نهاية أبواب الفقه، فلو لم تكن هذه من الإيمان، فما الحاجة من بحثها والعلم والعمل بها؟

* * *

سادساً: الغلو في حبّ الصحابة أو بغضهم

وهذا النوع كان من الممكن إدراجه تحت مبحث الغلو في ذات الأشخاص لكنني أفردته لأهميته؛ إذ هو أول فتنة حقيقية وقعت بين الصحابة بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، ومن هذا الباب دخل الرافضة بدعوى محبة آل البيت، ومن نتائجها بُغض الصحابة عندهم بل وتكفيرهم وتنقصهم.

والذين أفرطوا في حبّ بعض الصحابة وتجاوزوا الحد الشرعي المعتدل فيهم، هم الرافضة والإسماعيلية والباطنية، وفرقهم، حيث كان حبهم لعلي وآل بيته وقليل من أصحاب النبي ﷺ.

ومقابل المفرطون في عليّ بن أبي طالب، وُجد الخوارج الذين يكفرون الصحابة بعد الجمل بمن فيهم عليّ وكبار صحابة النبي ﷺ وزوجاته، وهم النواصب.

١ ــ الغلاة في حب عليّ بن أبي طالب وآل بيته:

وأقصد بهم الذين قالوا فيهم ما ليس فيهم: من عصمة ووصاية ونبوة بل ودعوى الإلهة.

وهؤلاء هم: السبئية، والمغيرية، والخطابية، والشريعية، والبيانية، والكيسانية.

والإمامية الاثنا عشرية، الذين قالوا بعصمة الأئمة الاثني عشر وهم:

١ـ علي بن أبي طالب.

٢ـ الحسن.

٣ـ الحسين.

٤ـ زين العابدين.

٥ـ محمد الباقر.

٦ـ جعفر الصادق.

٧ـ موسى الكاظم.

٨ـ علي الرضا.

٩ـ محمد الجواد.

١٠ـ علي الهادي.

١١ـ الحسن العسكري.

١٢ـ محمد بن الحسن العسكري صاحب السرداب المتوفى (٢٦٠هـ) على خلاف.

والإمامية فرق كثيرة يجمعهم القول بعصمة الأئمة ـ من آل علي ـ ولكن اختلفوا بعد محمد الباقر فيهم، وستكون محل المناقشة والعرض، لقربها من الواقع وكثرتهم في هذا الزمان، ولأنهم يحاولون الاستدلال لآرائهم من القرآن.

* فقد اجتمعوا[1] على أن النبي ﷺ نصّ على خلافة عليّ بن أبي طالب باسمه وأظهر ذلك وأعلنه.

ولما كانت الإمامة لا تكون إلاّ لأفضل الناس ـ وهو عليّ عندهم ـ ولا تكون إلاّ بنص، لزم أن تكون الإمامة عندهم عصمة؛ لأنه يترتب عليها تفويض الأحكام إلى الإمام ولو خالفت نصوص التنزيل، والإمامة تكون بنص حيث نص الرسول ﷺ لعليّ، وعليّ للحسن، وهكذا إلى الأئمة الاثني عشر.

الردّ عليهم في أصل قولهم:

بقولهم أن النبي ﷺ نصّ على خلافة عليّ باسمه وأعلن ذلك، فرد هذا من وجوه:

١ـ أين نصه ﷺ الصريح لعليّ؟ ومن نقله، وأين مصدره المنقول بالأسانيد المقبولة المتصلة، المُتحمَّل بالصيغ القوية الواضحة لا بالرؤى والمنامات والتخيلات والأماني... والمُؤدّاة بها؟!

---

(١) نقل الإجماع عنهم أبو الحسن الأشعري في المقالات ١/ ٨٩.

٢ـ هذا لم يُوجد ولم يقل به أحد غيركم؛ لأنه لو وجد مثل هذا النص القاطع لما ساغ لجمهور الصحابة الاختلاف يوم السقيفة.. ولما خفي عليهم أو على بعضهم، فضلاً عن عليّ رضي الله عنهم أجمعين.

٣ـ عليّ بن أبي طالب بايع الصديق ثم الفاروق ثم ذا النورين. ولو كان يعلم أنه منصوص بإمامته علانية فلا يخلو موقفه من حالتين:

أ ـ أن يكون علم به ولم يعمل بهذا التنصيص، بل رده ـ وهذا مستحيل من أمثاله رضي الله عنه، خاصة في هذا الأمر المهم وهو الإمامة، بل هذا لا يجوز منه، ولو وقع لكان كبيرة في حقه رضي الله عنه!

ب ـ أو يكون لم يعلم به، فأين ظهوره وعلانيته؟ مع عظم أمر الإمامة، وكيف يُنص على إمامته صريحاً ثم هو لا يعلم بذلك؟ وأين يكون علم بالنص وورود، ولم يعمل، أو لم يدعُ الصحابة إلى بيعته وإظهاره نص النبي عليه السلام؟ بل قد بايع ثلاثة قبله. فإذا عُلم هذا وعُلم خصوصية الرافضة بنقل هذا النص دلّ على كذبه وبطلانه، وأنه أضعف من عرضه على موازين الرد والقبول، والجرح والتعديل.

٤ـ لو كان بايع خوفاً وجبناً لمن سبقه ـ وحاشاه ذلك ـ فلماذا لمّا استمالت إليه الإمامة وبايعه المسلمون لم يبن هذا النص الظاهر، ويقتص من الذين منعوه البيعة وخرجوا عن أمره بمبايعة أبي بكر ثم عمر ثم عثمان رضي الله عنهم أجمعين، أو يعزرهم؟!

فلمّا لم يكن ذلك، دلَّ على أنه رضي الله عنه ليس معصوماً منصوصاً عليه، وعليه فليس إماماً منصوصاً فضلاً عن أن يكون معصوماً.

٥ـ على النزول معكم في التنصيص على إمامته وعصمته ثم وصايته لمن بعده من أبنائه، فلماذا خصصتم بعض أبنائه دون بعض، ومحمد بن الحنفية لم تجعلوه إماماً معصوماً وهو من أبنائه، ومن آل بيته قطعاً؟، أو لجعفر بن أبي طالب أخيه وهو من آل البيت كذلك، وكذا غيرهما.

كل هذا يبين فساد قولكم وضعف أصوله وتفاهته.

* خلاصة:

الغلاة في الصحابة هم الذين غلوا في عليّ وآل بيته وسلمان الفارسي، كما هو عند النصيرية وسائر الرافضة غلاة وعامة.

٢ ـ الغلاة في بغض الصحابة وتكفيرهم:

كل من غلا في آل البيت تواتروا على بغض الصحابة رضي الله عنهم واتهامهم بالخيانة والضلال؛ بل الكفر والشرك بعد رسول الله ﷺ سوى نفر قليل لا يتجاوزون العشرة، منهم: المقداد بن عمرو وأبو ذر الغفاري وعمار بن يسار وسلمان الفارسي.

* وممن صرحوا علانية بكفر الصحابة كلهم حتى عليّ: الكاملية[١] أتباع أبي كامل من غلاة الروافض، فكفروا الصحابة لأنهم لم يبايعوا علياً بعد موت النبي ﷺ، وكفروا علياً لأنه لم يطلب حقه بالخلافة ولم يطلب قتال من خالفه كما قاتل أصحاب الجمل وصفين.

* ومن الغلاة في هذا الباب: النصيرية؛ حيث يسبون فاطمة وحسناً وحسيناً ويحبون عبد الرحمن بن ملجم قاتل عليّ؛ لأنه خلص روح الإله من التراب.

* ومن الغلاة من الخوارج: الحرورية: أول من خرج من الخوارج وذهبوا إلى حروراء، والأزارقة ـ نسبة إلى نافع الأزرق ـ وغيرهم، حيث حكى أصحاب الفرق والمقالات أنهم متفقون في كفر عثمان وعليّ وطلحة بن عبيد الله، والزبير ابن العوام، وعائشة أم المؤمنين، والحكمين أبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص رضي الله عنهم، وكل من رضي بالتحكيم من الصحابة وغيرهم، أو من صوّب إحدى الفرقتين، وأصحاب الجمل من الصحابة وغيرهم.

ويترضون عن الشيخين أبي بكر الصديق وعمر رضي الله عنهم أجمعين.

* ومن عجيب ما رأيت قول البكرية ـ أتباع بكر بن زياد البهلي ـ من الخوارج، بأن طلحة والزبير كافران، لكنهما من أهل الجنة لأنهما من أهل بدر،

(١) انظر: المقالات للأشعري ١/٨٨، والملل والنحل ١/ ١٧٤، واللوامع للسفاريني ١/ ٨١، والاعتقادات ٧٥، والفرق بين الفرق ٥٤.

ومن شهد بدراً مع النبي ﷺ فهو من أهل الجنة عندهم وإن كان كافراً!!، فكيف يكون كافراً ومخلداً في جنات النعيم؟، سبحانك هذا بهتان عظيم.

أصل شبهة الخوارج:

ذكرتهم بالذات لأنهم أكثر الطوائف تكفيراً للصحابة، ويعدها الرافضة وإن كانوا لا يفترقون إلاّ في:

- الخوارج يترضون عن الشيخين ومن مات قبل الفتنة ويسبون علياً وعماراً وكل الصحابة بعدها.

- أما الرافضة فيسبون الصحابة جميعاً إلاّ علياً ونفراً قليل، سبق ذكرهم.

* وشبهتهم تقوم على أن علياً حكم الحكمين في أمر الخلافة وفض النزاع مع الشاميين. وقد حكّموا الرجال من دون الله، والله يقول: ﴿إِنِ ٱلْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ﴾ [يوسف: ٤٠]، فكفروا بذلك كل من رضي بحكم الحكمين أو صوّب إحدى الطائفتين.

الردّ على هذه الشبهة: من وجوه:

١ـ عليّ بن أبي طالب لم يُحكِّم الرجال ليحكموا بغير ما أنزل الله، بل بما يوافق حكم الله من الإصلاح بين المتخاصمين.

٢ـ تحكيم الرجال ـ خاصة في الإصلاح ـ ورد في القرآن استحبابه كما في قوله تعالى: ﴿وَإِنْ خِفْتُمْ شِقَاقَ بَيْنِهِمَا فَٱبْعَثُوا۟ حَكَمًا مِّنْ أَهْلِهِۦ وَحَكَمًا مِّنْ أَهْلِهَآ إِن يُرِيدَآ إِصْلَٰحًا يُوَفِّقِ ٱللَّهُ بَيْنَهُمَآ﴾ [النساء: ٣٥].

فندب الله إلى الحكمين المصلحين عند النزاع بين الزوجين، فكيف بالنزاع بين المسلمين!، لا شك أن هذا ألزم، لعظيم خطره وكبير أثره على الإسلام وأهله. والله يقول: ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا۟ بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾ [الحجرات: ١٠].

٣ـ أنتم تجيزون الصلح مع الكفار من يهود ونصارى، فجوازه مع المؤمنين أولى! فهم أحق بهذه المزية من غيرهم، وإلاّ فالكفر ملّة واحدة؛ لا يجب أن تفرقوا بين ملّة وأخرى من باب الإنصاف والعدل! فلم جوزتموه مع الكفر، وحرّمتموه مع المسلمين.

بل واقع الخوارج وسيماهم هو قتال المؤمنين وإشهار السيوف في وجوههم، كما في روايات حديث ذي الخويصرة التميمي الطويل، في الصحيحين وغيرهما.

٤ـ هذا التحكيم وقع برضى من كبار الصحابة ـ ومنهم الحكمان ـ بشهود جماهيرهم رضي الله عن الجميع، وهم قطعاً أعلم منكم وأفقه وأورع وأدين لله، من غير تكلف، أو تنطع، أو مشادة للدين، وأخذ بعضه وطرح باقيه.

* * *

الفصل الثالث

وفيه:

أولاً : وسطية أهل السنة واثرها

ثانياً : آثار الغلو ـ خاصة العملية ـ ومنهج أهل السنة فيها

ثالثاً : علاج الغلو

رابعاً : طريقة السلف في علاج الغلو

أولاً: وسطية أهل السنّة وأثرها

مما سبق يتبين منهج أهل السنة والجماعة، فهم وسط بين الأمم، ووسط بين الفرق الغالية، ووسط بين المُفرطين المتساهلين والمتشددين، كما قال تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣]. وقال: ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

قال ابن تيمية ـ رحمه الله ـ في الواسطية مقرراً هذا: «بل هم الوسط في فرق الأمة كما أن الأمة هي الوسط في الأمم؛ فهم وسط في باب صفات الله تعالى بين أهل التعطيل الجهمية وأهل التمثيل المشبهة. وهم وسط في باب أفعال الله بين الجبرية والقدرية، وغيرهم، وفي باب وعيد الله بين المرجئة والوعيدة وغيرهما، وفي باب أسماء الإيمان والدين بين الحرورية والمعتزلة وبين المرجئة والجهمية، وفي باب أصحاب رسول الله ﷺ بين الرافضة والخوارج».

*** وسبب هذه الوسطية المعتدلة:**

هو تمسكهم بكتاب الله وسنّة رسوله ﷺ وفهمهما على فهم الصحابة على بصيرة وفقه وحكمة، ومن منطلقات مدلولات اللسان العربي الفصيح، فهم الذين كانوا وما زالوا على الجماعة: على ما كان عليه الرسول ﷺ وأصحابه.

يدل لذلك أنهم لم يخالفوا في الكتاب والسنّة والجماعة أبداً. وإن وقعت خلافات فهي قليلة لهم فيها العذر؛ كما وقع في الاختلاف في رؤية النبي ﷺ ربه ليلة المعراج وغيرها.

وهم الذين يذودون عن كتاب الله غلو الغالين، وانحرافات المنحرفين.

وهم الذين يخدمون سنة رسوله ﷺ رواية ودراية بأفضل مقاييس القبول والرد ـ بما لا يُعرف عند من قبلهم ولا يكون فيمن بعدهم.

وهم على منهج واحد لم يتغير ولا يتغير منذ حياة النبي ﷺ، وحتى لا يبقى

على وجه الأرض مسلم يقول: الله الله.

ولا يزال متأخروهم يعتمدون أقوال علمائهم السابقين لهم، في تبين الألفاظ وتفسير النصوص، ما كان الدليل موافقاً لهم، ولم يردوا المعارض لأقوالهم بالدليل.

وأما غيرهم من أصحاب الفرق والنحل فلا يزالون في فرقة واختلاف، في مناهج وتطور أفكار ومعتقدات، ما يظن الباحث معه انفصال متأخري الفرقة الواحدة عن متقدميهم. كما أن بعض الفرق قد انقرضت كغلاة القدرية، حيث لم تستطع المواصلة أمام رفض العقول الصحيحة والنظر السليم لتلك المبادىء، فذهب بذهاب أصحابها.

كما أنهم الذين اعتبروا الإجماع مصدراً من مصادر الشريعة لأنه كان بمستند من كتاب أو سنّة، ولم يُعرف إجماعهم على مخالفة نص أبداً.

وهم الذين اختارهم الله ليختتم بهم أديانه ورسالاته على الأرض، فرسالتهم ودينهم هي المناسبة لكل عصر ومصر: وزمان ومكان ﴿ٱلۡيَوۡمَ أَكۡمَلۡتُ لَكُمۡ دِينَكُمۡ وَأَتۡمَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ نِعۡمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلۡإِسۡلَٰمَ دِينٗاۚ﴾ [المائدة: ٣]. وقال: ﴿إِنَّ ٱلدِّينَ عِندَ ٱللَّهِ ٱلۡإِسۡلَٰمُۗ﴾ وقال: ﴿وَمَن يَبۡتَغِ غَيۡرَ ٱلۡإِسۡلَٰمِ دِينٗا فَلَن يُقۡبَلَ مِنۡهُ وَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنَ ٱلۡخَٰسِرِينَ ٨٥﴾.

وهم غير المغضوب عليهم من اليهود والضالين من النصارى، فدينهم دين السماحة واليسر وعدم الكلفة، والابتعاد عن المشقة.

وهم وسط في باب الصفات بين المعطلة الجهمية وبين المشبهة الممثلة المنتقصة لله عزّ وجلّ من جهة أخرى.

فهم يثبتون لله صفاته على ما يليق بجلاله وعظمته، من غير أن يحرفوها عما وضعت له أو يمثلوا بها صفات المخلوقين، على حدِّ قوله تعالى في سورة الشورى: ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ [الشورى: ١١].

وأن كل ما ثبت للمخلوق من كمال لا نقص فيه بوجه فلله أكمله، وكل ما تنزه عنه المخلوق من نقص لا كمال فيه بوجه من الوجوه فالله أولى بالتنزه عنه.

وهم في ذلك بين اليهود المشبهة الخالق بصفات المخلوقين: كالفقر والتعب

والنصب. . . ، والنصارى الواصفين المخلوقين بصفات الخالق، كما في عيسى ابن مريم وأمه عليهما السلام.

فلهذا عبدوا إلهاً واحداً عرفوه بقدرته وعظمته، كما عرفوه بصفاته وأسمائه التي عرفهم بها في كتابه وعلى لسان رسوله ﷺ؛ فلا يتكلمون إلاّ بما يرضى به ويحبه؛ لأنه يسمع كلامهم. ولا يفعلون إلاّ ما يرضاه، ويتجنبون ما يسخطه لأنه يراهم. وأن قلوب الناس بين إصبعين من أصابعه تعالى يقلبها كيف يشاء.

وهم يسألونه ويدعونه ويستغفرونه خاصة في آخر الليل، لأنه ينزل ليجيب دعاءهم ويعطي سائلهم ويغفر لمستغفرهم.

فكانوا بهذا أصلح الناس وأعبدهم لربهم، وحسبك بالصحابة؛ فهم أولياء الله، يمشون على الأرض لما طبقوا عقائدهم في أفعالهم، فسادوا الدنيا بقلوبهم وأفعالهم قبل سيوفهم وقوتهم.

وهم بين الغلاة من: الروافض والباطنية. . . والنصارى فيما يتعلق بالنبوة؛ فلا يقولون بنبوة إلاّ من نبّأه الله وأوحى إليه، وآمنوا بكل ما جاء به نبيٌ من الله مؤيداً بالدلائل كلها؛ ليست المعجزات وحدها، ولا كل من ادعاها كانت له، وهم لا يرفعون الأنبياء ـ مهما كانوا ـ فوق منازلهم التي شرفهم الله بها، وهي العبودية والرسالة.

وبين اليهود والفلاسفة المجافين في حق الأنبياء، فظلموهم وقتلوهم وآذوهم.

وهم يؤمنون بكل أنبياء الله قبل محمد ﷺ، ولا يفرقون بين أحد منهم؛ لأنهم كلهم جاءوا بدعوة من مشكاة واحدة، وكلهم إخوة لعلاّت علموهم وعرفوهم بأسمائهم أو لا، ما دام ذكرهم الله في كتابه، أو أشار إليهم رسوله ﷺ.

وينكرون ويُكذِّبون كل مدع للنبوة بعد محمد ﷺ، ويعتقدون أنه كذّاب دجّال مُفتر على الله وعلى نفسه، وأنه ظالم لها بدعواه هذا، سواء كان هازلاً أو جاداً.

* * *

ثانياً: آثار الغلو ـ خاصة العملية ـ ومنهج أهل السنّة

أقول ابتداء: إن البحث في الغلو والغلاة، وأسباب الغلو، ونشأته، لعلاج هذه الآثار والنتائج الحاصلة من الغلو، وتدبر كيفية ضلال الناس عن صراط الله المستقيم للعظة والعبرة.

والغلو في مسائل الدين مما يسيء في الحقيقة إلى عقيدة الإسلام ومحاسنه؛ فالغلو في العبادات أو الأفكار أو العقائد أو التصرفات، ومعارضة قواعد الشريعة في التسهيل في مواضعه مما يُستقبح حصوله في المجتمع المسلم القصد المتوسط.

فمثلاً: التبتل وعدم النكاح، أو الاعتزال وطول العبادة، أو صيام الدهر كله، كل هذه نماذج من الغلو والزيادة والإفراط في العبادة بما لم يأذن به الله، بل هو قدح في الشريعة وواضعها الذي شرع للناس عبادتهم؛ لأنه يتهم الشريعة بالنقص، فلهذا طلب الزيادة بالغلو.

ونجعل مثل هذا غافلاً عن تكامل الشريعة في كل شيء وأن العبادة ليست مقتصرة على الجوع وطول الذكر والصلاة. . . . بل كل عمل يفعله الإنسان مما أباحه الله يكون عبادة؛ فالنكاح عبادة والمشي عبادة والتجارة عبادة. . .وعلى هذا فقس كل مسألة وقع فيها الغلو، ولنا في رسول الله ﷺ أسوة حسنة، فقد كان أكمل العباد عبادة لربه، وهذا مقرر عند كل من شهد بعبودية الرسول لربه ورسالته.

ولئلا يكون الحديث إنشائياً فسأحاول ذكر ما تيسر من الآثار التي تصورتها ووقعت أو التي يمكن وقوعها، بناءً على الترتيب السابق للمسائل في الفصل الثاني.

١ـ أثر الغلو في الصفات:

* فالمعطلة طلبوا تنزيه الله فردوا النصوص أو حرفوها، وعبدوا إلهاً لا يعرفون له صفة إلاّ أنه حيٌ موجودٌ، اعتماداً على مقررات عقولهم ومناطقهم، وهي لا تنفرد بتقرير المغيبات؛ إذ المعول فيها على السمعيات من الكتاب والسنّة.

وقدموا المنهج العقلي على الأحكام الشرعية فعملوا ما هو عنده حسناً وتركوا ما اعتقدوه قبيحاً ـ ولو كان ثابتاً العمل به عند المسلمين من أصل شرعهم ـ فارتكبوا المحرمات وعللوا فعلهم لها بالتأويل والمجاز.

* والمشبهة قد وصفوا الله تعالى بصفات النقص الجسيمة فعبدوا رباً كالبشر في حقيقته، فهو محتاجٌ لمخلوقاته: كالعرش الذي يجلس عليه، والجمل الذي يركبه يوم عرفة ـ تعالى الله عن قولهم علوّاً كبيراً.

* وسبق بيان منهج أهل السنةّ وأنه وسط بينهما، قريباً في أول الفصل في «وسطية أهل السنّة وأثرها».

٢ـ أثر الغلو في القضاء والقدر:

* فعند الجبرية: لا حرج على العبد في فعل ما يشاء حلالاً أو حراماً؛ لأنه مجبورٌ على فعله لا اختيار له ولا إرادة.

وعليه، يعطل أهم أصول شرائع الدين، وهو الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا تكون الدعوة إلى الله بل تعطل الشرائع كلها بما فيها من أمر ونهي وحساب وجزاء؛ لأن العبد حسب ما أجبره عليه ربه وتسييره له. فإذا رأيت العاصي يمارس معصيته والكافر يكفر، فلا ينكر قلبك ولا يتمعر وجهك؛ لأنه ليس له إرادة في فعله، وإن أنكرت عليه قال: هذا جبر جُبرت عليه!.

* أما القدرية: فوصفوا الله تعالى بالعجز عن خلق فعل عبده، ووصفوا العبد بالمقابل بالقدرة على خلق فعل نفسه، وأنه يخلق ما لا يقدر الله على فعله.

بل وصفته الغالية بالجهل بما سيقع من عبده، والعلم بعدما يقع من فعله، بينما على ضده يكون سلوك الفرد القدري حيث لا رقيب عليه؛ لأنه مستقل بفعله وقدرته، لما نفوا تقدير الله لأفعال عباده حسنها وقبيحها، خيرها وشرها.

* **وأهل السنّة وسط بينهما:**

فيقررون للعبد قدرة واختياراً ومشيئة، لا يجبره على فعله أحد حتى خالقه؛ بل يفعل ما يفعله بمحض إرادته وحسب مشيئته، لكن فعله هذا وإرادته هذه داخلة في خلق الله تعالى له، كما أنها مسبوقة بعلم الله بها، فلا يعمل عملاً إلاّ وقد سبق تقديره وإرادته في علم الله الأزلي، وكتبه عنده في كتابه الذي جرى بما كان ويكون إلى قيام الساعة.

وهم يفرقون بين إرادة الله العامة للشيء، وبين محبته له، ورضاه به؛ فالأولى: إرادة كونية قدرية عامة تُظهر علم الله وكمال قدرته، والثانية: إرادة شرعية دينية، من أجلها أرسل الله الرسل وأنزل الكتب، ليُهدي من هُدى على بينة، ويُضل من ضل عن بيّنة.

وعليه فلا مستمسك لما يفعله العباد من خير وشر بالقدر أبداً عند أهل القرآن والسنّة والاجتماع.

وهم مع ذلك يعملون ويحرصون على إرادة الخير والطاعة، وما يحبه الله ويرضاه، ويتجنبون ما يسخطه ويبغضه ويكره سبحانه وتعالى، حيث ظهر بهذا أثر عقيدتهم في القضاء والقدر، في سلوكهم وأعمالهم وأخلاقهم وعباداتهم، فيمن كان منهم متمسكاً بهذه العقيدة عاملاً بها، وإلاّ فهم متفاضلون في ذلك، تفاضلهم في العقيدة أصلاً.

٣ــ أثر العقيدة في الأشخاص:

* رفعهم فوق منازلهم التي أنزلهم الله فيها، الذي يؤدي إلى الاعتقاد فيهم بفعل الخير والشر، ومن ثم عبادتهم ودعائهم والاستعانة بهم.. مما هو صريح الشرك الذي جاء النبي ﷺ بالدعوة إلى نبذه والتحذير منه، دعوة ونَذارةً ﴿مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى اللَّهِ زُلْفَىٰٓ﴾ [الزمر: ٣].

* التلبيس على الناس والعوام الجهلة بدين الله، والافتراء عليهم، أخذ أموالهم وابتزازها منهم بدعوى القربات إلى الأولياء والصالحين، وربط قلوب الناس بهم طمعاً وتسلطاً وترأساً.

* تعطيل ألوهية الله على خلقه واستحقاقه العبادة وحده لا شريك له منهم،

بوجوده عند هؤلاء الغلاة في ذوات من اتبعوهم، واعتقادهم واسطتهم إلى الله، فاكتفوا بهم عند الله وعن الله، واستغنوا عن الاتصال بالله مباشرة بعبادته ودعائه، فكانت القبور والأضرحة والمشاهد، وسَمِعت الشرك الأكبر.

فانظر إلى مجتمع تكون فيه هذه الفوضى العقدية كيف يكون وصفه؟!، فضلاً عما قد يكون من المتبوعين لأولئك الأشخاص من المصادمات ما يستلزمه واقعهم.

وحسبك أن تدير رأسك في بلاد المسلمين التي ابتليت بهذا النوع ـ وهي كثيرة ولا حول ولا قوة إلاّ بالله ـ لتعرف الأثر السيىء، والتخلف المقيت نتيجة تلك المعتقدات الباطلة.

٤ ــ أثر الغلو في الاعتقاد بالنبوة:

* سيأتي كل مدع للنبوة أو الرسالة أو حتى مرتبة فوق منزلتهما بشرع يخالف ما عليه سابقه لا محالة، فكم تكون في الأرض من شريعة يتعبد الناس بها؟، وأيٌّ منها سيكون الأحق بالاتباع والعمل؟!!.

* ما سيحصل من تنافس بين هؤلاء المدعين للنبوة، مما ينتج عنه سفك دماء وأخذ أموال بغير حق وفوضى، أو قل: غابة لا نظام يحكمها ولا عدل، كما وقع بين أتباع البابية ومؤسس البهائية محمد حسين المازنداري في مواقفه.

وسبق موقف أهل السنّة من الغلو في النبوات.

٥ ــ أثر الغلو في بغض الصحابة وتكفيرهم:

* القدح بنقلة الشريعة: الكتاب والسنّة، فإذا قدح في نقلهما، فكيف الوثوق بهما؟ فيلزم تعطيلهما!.

* بالمقابل يكون تعبد الله بما نقله نفر من الصحابة: عليّ وسلمان وعمار والمقداد وأبو ذر، ونتولاهم ومعتقدهم، ونعتمد على أقوالهم، فيكونوا هم المشرعين فلا كتاب ولا سنة؛ لقلة ما رووه بالنسبة إلى السنّة والدين؛ مما يفتح باب الكذب عليهم والقول عليهم بما لم يقولوه، كما امتلأت به كتب القوم به على عليّ وأبنائه من آل بيته.

* انعدام الشريعة وظهور الجاهلية مرة أخرى؛ فلا توحيد ولا عبادات ولا نظام للحياة متكامل.

وأهل السنّة في أصحاب النبي ﷺ بين الرافضة وغلاتهم وأشباههم، وبين الخوارج الجافين في حقهم، الجاحدين لفضائلهم؛ فيرون عدالة الصحابة كلهم، فهم من حمل إلينا الكتاب والسنّة وحفظوهما بحفظ الله لهما.

وهم كما قاله ابن مسعود وفيما نقله عنه ابن أبي العزّ ص ٣٨٣ من شرح الطحاوية وأسنده عنه ابن عبد البر في جامع بيان العلم وغيره:

«من كان منكم مُستناً فليستن بمن قد مات، فإن الحيّ لا تؤمن عليه الفتنة. أولئك أصحاب محمد ﷺ كانوا أفضل هذه الأمة، أبرها قلوباً، وأعمقها علماً وأقلها تكلفاً. قوم اختارهم الله لصحبة نبيه وإقامة دينه، فاعرفوا لهم فضلهم، واتبعوهم في آثارهم، وتمسكوا بما استطعتم من أخلاقهم ودينهم، فإنهم كانوا على الهدى المستقيم» اهـ.

[illegible] حصل بينهم من فتنة أوقدها أعداء الله، فكل من الصحابة بطائفتيهم مجتهد ماجور غير مأزور مختلفين في مقدار الأجر.

وفتنة سلم الله منهَا سيوفنا نسلم منها ألسنتنا، كما نظمها القحطاني في نونيته قائلاً:

دع ما جرى بين الصحابة في الوغى   بسيوفهم يوم التقى الجمعان

فقتيلهم منهم وقاتلهم لهم   وكلاهما في الحشر مجتمعان

والله ينزع يوم الحشر كل ما   تحوي صدورهم من الأضغان

وأن علياً رضي الله عن الجميع أولى بالخلافة من معاوية، وهو أحق بها، والحق كان معه.

ومعاوية ومن معه غير مأزورين أو آثمين على اجتهادهم فلن يعدم إن شاء الله أ- الاجتهاد، وإن فاتهم ثواب الإصابة.

ويرون الخلافة الراشدة ـ خلافة النبوة ـ هي خلافة أبي بكر الصديق وعمر الفاروق وعثمان ذي النورين وعليّ ابن عم رسول الله ﷺ وزوج ابنته.

ويرتبونهم في الفضل كترتيبهم في الخلافة ـ على ما استقر عليه قول أهل

العلم والسنّة، وانعقد عليه إجماعهم.

ويترضون عنهم أجمعين، وأنه لو أنفق ألمنفق مثل أحد ذهباً لم يبلغ مدّ أحدهم ولا نصيفه.

٦ـ أثر الغلو في الأسماء والأحكام:

* تعتقد الخوارج أن الفاسق كافر في الدنيا، مخلد في النار يوم القيامة، يجوز سلب ماله، واستحلال دمه، واسترقاقه، وتطليق زوجته منه.. وهو في الآخرة يائس من رحمة الله، للجزم بأنه كافر ومخلد في نار جهنم.

أما المعتزلة فيوافقونهم في حكم يوم القيامة.

فهؤلاء ضيقوا على الناس بمحاسبتهم بكبائرهم ومعاصيهم، فكم يبقى في الدين من رجل بعد هذا التشدد والتعسير؟!.

ولا يزال خطر أولئك الخوارج مستمراً، حتى ظهرت في هذا الزمان طائفة تنادي بأفكارهم، وتؤصل أصولهم، هي جماعة مصطفى أحمد شكري (١٣٩٨هـ) في بلاد مصر. فمن أقوالها[1] في مرتكب المعصية:

«لم يحدث أن فرقت الشريعة بين الكفر العملي والكفر القلبي، ولا أن جاء نص واحد يدل أو يشير أدنى إشارة، إلى أن الذين كفروا بسلوكهم غير الذين كفروا بقلوبهم واعتقادهم، بل كل النصوص تدل على أن العصيان لله عملاً والكفر به سلوكاً واقعاً، هو بمفرده سبب العذاب والخلود في النار والحرمان من الجنة» اهـ.

وحسبي أن أشير إلى آثار تلك الفرقة على الناس:

١ـ اعتزال أفرادُها المجتمع المصري لأنه كافر راضٍ بالكفر.

٢ـ تصفية وقتل كل من خالفهم أو رد عليهم ـ ومنهم ذهبي مصر ـ لأن من

---

(١) حرصت على الوقوف على أقوال الجماعة من خلال رسالتيهم: الحجيات وإجمال تأويلاتهم والرد عليها، لكن ضُنَّ بها عليّ. لهذا اعتمدت على ما نقله منها صاحب «الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو فيه» ص ١٦٧، فقد صرح أنه أخذ من تلك الرسائل مباشرة، ولعل الله يسهل الوقوف عليها.

خالفهمْ فهو كافر، حيث قامت عليه الحجة فلم يقتنع بها، وتجري عليه أحكام المرتد.

٣ـ عندهم كل من لم يحكم بغير ما أنزل الله يكون كافراً كفراً مخرجاً عن الملة جملة، دون التفصيل ـ كما هي طريقة المحققين من أهل السنّة في وجوب التفصيل...

٤ـ التكفير بالمعاصي والخلود بها في نار جهنم.

٥ـ تشويه صورة سماحة الإسلام بين الناس ـ ووافق ذلك لمزهم بالتطرف، وجماعة التكفير والهجرة ـ وتفرق المسلمين، وبثّ الفوضى والخوف وعدم الأمن بينهم، وهذا مشاهد في أماكن شتى عند أضراب هؤلاء، ومع الأسف الشديد، أنهم يعتقدون أن تصرفهم هذا ديانة لله وجهاداً، جهلاً بالعلم والدين ومقاصده!

٦ـ دعواهم بأنهم جماعة المهدي المنتظر، لاتحاد الزمان الذي أخبر عنه النبي ﷺ بوجود المهدي فيه.

وهكذا كل قول أو طائفة تنتحل مثل أفكار الخوارج ومعتقداتهم لا بد أن ينتج عنه نظير ما ينتج عن هذه الطائفة من الآثار غير المحمودة طبعاً وعقلاً فضلاً، عن الشرع الحنيف.

* وعند المرجئة: المؤمن على رأيين:

١ـ من أوقفوا الإيمان على مجرد المعرفة والإقرار القلبي بالله وبرسوله، فكذبوا بالقرآن وشهدوا بالإيمان لإبليس وفرعون.

وعليه فلا حاجة إلى دعوة الكفرة غير الملحدين؛ لأن غالبية الكفرة ممن يقرون بالله ويؤمنون به في قلوبهم، لا فرق بين المؤمن والكافر، إلاّ بالجهل بالرب أو جحوده. هذا عند المرجئة المحضة من الجهمية ومن وافقهم.

٢ـ من حدَّ الإيمان بالنطق باللسان فقط ـ وهم الكرامية ـ وإن جحد قلبه، فعلى هذا اسم المؤمن عندهم في الدنيا، شمل المنافق والمعاند والزنديق؛ لأنهم أظهروا كلمة الإيمان نطقاً، وإن لم يعتقدوها قلباً أو يطبقوها عملاً.

أما في الآخرة: فعند المعرفية من المرجئة ـ كالجهمية المحضة وغيرهم ـ لا يدخل النار إلاّ الملاحدة المنكرون بقلوبهم وألسنتهم وجود الله، والمكذبون

بقلوبهم الرسول ﷺ.

وعند الكرامية كل من نطق بلسانه دخل الجنة وإن كان ما في قلبه خلاف ذلك. ومن لم ينطق بلسانه، بل اكتفى بتصديق قلبه وإيمانه ويقينه، فهو من أهل النار. وبقية المرجئة مترددين في هذا بينهما، بشيء من الزيادة والنقصان، كما سبق الكلام عليهم تفصيلاً.

فعلى ذلك لا يضر أهل المعاصي والفسوق والمنكرات بل الكفرة ما داموا عارفين لربهم ورسوله، مقرين لهما بقلوبهم أو ناطقين بالشهادتين بألسنتهم؛ فهم مع ما هم عليه من كبائر أو كفر ولو شركاً مع الله - هم من أهل الجنة قطعاً عند هؤلاء.

فإذاً ما الحاجة إلى إرسال الرسول إلى أهل مكة وغيرهم وهم لا يعبدون الأصنام إلاّ لتقربهم إلى الله؟ فهم مقرون بالله مؤمنين به وبالأنبياء، مثل: محمد، وإبراهيم، وإسماعيل صلى الله عليهم وآلهم وسلم.

وهؤلاء العصاة مهما كانوا عليه من معصيتهم أو كفرهم فهم كاملو الإيمان فلا حاجة إلى جهاد المشركين.

وهم يتركون الملاحدة والمفسدين يعيثون في الأرض الفساد، بجامع أنهم مؤمنون.

ويقفون أمام الدعوات الإصلاحية كدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب الإصلاحية شهوة وهوى، حتى لم يُسلِّم له الميزان بين الفئتين.

ويوسعون دائرة الإيمان ويدخلون فيها الزنادقة وأكفر الكفرة.

* وأهل السنّة والجماعة يرون أن الإيمان قول باللسان وعمل بالأركان واعتقاد بالجنان، يزيد بطاعة الرحمن وينقص بطاعة الشيطان، فقولهم هو الوسط، وعليه يكون اعتماد الحياة ومن خلاله يكون تنظيمها، وهو المنهج المعتدل الذي جعله الله للناس هدى ورحمة وطريقاً سوياً لا عوج فيه ولا أمتاً، وبه تحصل السعادتان في النشأتين. فيقفون أمام جميع المنكرات ويأمرون بالمعروف، وينهون عن المنكر ويأخذون على يد السفيه المفسد للمسلمين ويأطرونه على الحق أطراً، ولو لم يندفع شره إلاّ بقتله قتلوه، تحصيلاً للمصلحة العامة العظمى، وإنفاذاً لحكم

الله فيمن لم يُتق شره إلاّ به. وعندئذٍ لا يقوم بقتله أفراد أهل السنّة أو آحادهم (لئلا يفتاتوا على إمام المسلمين)، بل الذي يقوم به الحاكم الشرعي حكماً، وولي الأمر تنفيذاً.

وهم يدعون الناس إلى الإسلام ويجاهدون عليه لأنه دين الله الحق الصحيح، المأمور باتباعه من كل أحد من العالمين ﴿لِأُنذِرَكُم بِهِۦ وَمَنۢ بَلَغَۚ﴾ [الأنعام: ١٩]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَٰلَمِينَ ۝١٠٧﴾ [الأنبياء: ١٠٧]، ﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾ [سبأ: ٢٨].

وهم مع ذلك لا يُقنّطون أهل المعاصي من رحمة الله ويُؤيِّسونهم من رحمته، بل يأخذون بجانب الحب والرجاء والخوف في دعوتهم، وكل حسب ما يناسبه.

* * *

ثالثاً: علاج الغلو

وبعد فمن إتمام الكلام على الغلو، بعد ذكر أسبابه ومشكلاته وآثاره، أن أختم ذلك بذكر بعض الأساليب المفيدة في علاج الغلو، في أي باب من أبواب الدين، وفي أي زمان من أزمنة الناس.

ولا يوجد علاجٌ جامعٌ مانعٌ شافٍ مُبرىء إلا:

أ ـ التمسك بالكتاب والسنّة الصحيحة عملاً وقولاً واعتقاداً في شتى ميادين الحياة وعلى اختلاف أحوالها، على علم وهدى وبصيرة، لا بهوى وجهل، أو عدم اعتبار للقواعد الشرعية.

ب ـ سلوك منهج خير الناس وأفضلهم كما شهد لهم بذلك رسول الله ﷺ. وعدم مفارقة الجماعة، وإحداث ما لم يأذن به الله في الدين، من البدع والمذاهب والجماعات.

فلا بد من تقرير هذين الأمرين العظيمين، والدندنة عليهما في شتى الميادين، والسعي إلى تحقيق ذلك في ميدان العمل والتطبيق؛ ليجني الناس ثمارهما الطيبة.

* ومن الأساليب التي يمكن إيرادها في هذه المناسبة: الآتي:

١ـ رفع الجهل، وذلك بأحكام الشريعة الإسلامية والسنن النبوية، بطلب الحق والبصيرة في تلك الأحكام، وبتعلم العلم والعكوف عليه دراسة وحفظاً وفهماً ودعوة وعملاً.

٢ـ الحرص على سلامة المنهج المتبع لآثار السابقين الموافقة لقواعد الشريعة، والمحققة لمقاصدها وغايات أحكامها وشرائعها الكلية والتفصيلية، بعيداً عن النظرة الشخصية أو الطائفية الضيقة.

٣ـ دعوة أولئك الذين يدخلون إلى الإسلام بالحكمة والموعظة الحسنة وخفض الجانب لهم، حتى إذا كانت في نفوسهم مقاصد مكيدة فإنها تزول بإذن

الله، واستخدام ما يمكن من الأساليب اللينة الحقة، حتى لو ظهر غلو، عسى أن يتركوه أو تكون مرحلة زلت فيها أقدامهم؛ وسرعان ما يرجعون ويثوبون عنها، لكن إذا لم يُجد العلاج باللين والحسنى فآخر الدواء الكي؛ لئلا يستفحل المرض في جسد الأمة وينتشر، وقطعاً للمرض، واستئصاله لمصلحة المريض وغيره.

وحبذا لو طبق هذا المنهج مع الشباب الذين لديهم نزعات غلو أو كانوا جماعات... ما لم نحس الزيادة في الغلو، حتى لا يولد العنف تصلباً وزيادة غلو وتشدد وتمسك بالرأي (كما تعالج بعض الأنظمة الغلو والتطرف)!.

٤ـ التربية الإيمانية الصحيحة على منهج القرآن، وبنبراس من تربية النبي ﷺ لأمته وأصحابه على سبيل الخصوص؛ حيث قضى عليه السلام على ما بدر من مظاهر الغلو بأسلوب تربوي حقيق بأن يحتذى ويطبق، حتى صار الصحابة، ومن كانت منهم مظاهر الغلو، أمثلة يقتدى بهم، في العدل والإحسان والاعتدال والوسطية المأمور بها شرعاً.

التربية على منهج السماحة والمودة وخفض الجانب للمخالفين إلى حد معين، وإحسان الظن بالمخالف ما لم يصل الأمر إلى غير المرغوب فيه ما أمكن إلى ذلك سبيلاً.

التربية على التأدب مع الله ورسوله ﷺ ومع أصحابه وأهل العلم، تأدب التلميذ مع معلمه والطفل مع مربيه. يتأدب مع أهل العلم فلا يتجرأ عليهم ويماريهم أو يتطاول عليهم ويباحثهم بالحسنى واللطف.

٥ـ التحاكم في الأفكار والمناهج والأعمال إلى محكمة الكتاب والسنّة النبوية الصحيحة بفهم من لغة العرب وفهم الصحابة لهما.

وأن يكون الحوار الصادق الهادىء الناشد للحق تحت مظلة مصادر الشريعة الأصلية المتفق عليها عند المسلمين؛ فينزع ما يتعلق به من هوى أو فكر أو آراء قبل دخول عتبة هذه الخيمة تجرد الله، وطلباً للحق ضالته المنشودة.

٦ـ مجانبة التعصب المذموم للآراء وأقوال الأئمة، مهما علت رتبتهم وارتفعت منزلتهم، ما لم يكن رسول الله ﷺ. بل يجب أن يكون المقصد هو طلب العلم والدليل السمعي المُوافق للعقل الصحيح والفطرة المستقيمة؛ إذ لا

ينفكان عن بعضهما.

٧ـ ترك الجرأة على العلم وتجاوز درجاته، والقفز إلى أعلى مراتبه، وترك فهم الصحابة وأقوالهم في تفسير النصوص، وفهوم العلماء، الراسخين بالفهم والرأي من الكتاب والسنّة، والاستقلالية دون سابق علم وبصيرة من لغة عربية صحيحة مُدركة المقاصد والمعاني، وإحاطة بالعموميات من أصول الشريعة قبل خصوصياتها.

٨ـ قيام العلماء والأئمة بواجبهم في هذا الميدان، وبدورهم المطلوب منهم، برفعهم الجهل عن الناس، وأن يكونوا مصابيح لهم في الدجى تهديهم إلى الطريق المعتدل السوي، وأن يكونوا قدوة لعامة الناس كحال العلماء المخلصين وترك ما يكون بينهم من خلافات شخصية أو طائفية، والنزول عند الحق مهما كان قائله، ومعاشرة الناس في واقعهم، وتلمس مشاكلهم وحاجاتهم.

ولن يتم هذا الأمر في الحقيقة إلاّ بتضافر الجهود بين الولاة والعلماء، إذ هما هنا كجناحي الطائر لسلامة الأمة وأمنها وعقيدتها.

* * *

رابعاً: طريقة السلف في علاج الغلو

وذلك بالإتيان على نماذج قليلة توضح منهجهم في معالجتهم للمحدثات، ووسائل الغلو من الأفكار الوافدة، أو المولدة الغالية.

وطريقتهم:

* لزوم الجماعة ما أمكن وعدم مفارقتها، وهي جماعة المسلمين، وقد يعبر عنهم بجماعة المسلمين أو المجتمعين على إمام معين، وعدم الخروج على الأئمة والصبر عليهم. فعن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً إلى النبي ﷺ أنه قال:

«من رأى من إمامه ما يكرهه فليصبر، فإن من فارق الجماعة شبراً فمات، فميتته جاهلية» متفق عليه[1].

أي يكره ما يأتي من معصية الله، لا لهوى نفسه وخصوصها، وزخرف الدنيا.

وعلى هذا كان معظم السلف؛ فلم يكونوا ـ جملتهم ـ يخرجون على أئمة الجور الظلمة. وحسبك بالحجاج بن يوسف بقسوته وظلمه ومع هذا فلم يذكر عن أحد من الصحابة الخروج عليه، بل كانوا يصلون خلفه ويبغضون ما يأتي منه من المعاصي والظلم؛ منهم: ابن عمر وابن عباس وأنس بن مالك؛ حيث وجد البعض منهم محناً منه وتعنتاً وظلماً.

* ذمّ الجدال والخصام في الدين، وكثرة القيل والقال، بدون طلب الحق ووجود الدليل. فعن أبي أمامة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: **«ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدال ثم قرأ:** ﴿مَا ضَرَبُوهُ لَكَ إِلَّا جَدَلًا بَلْ هُمْ قَوْمٌ

---

(1) رواه البخاري ـ في كتاب الفتن ـ باب قول النبي ﷺ: **«سترون بعدي أموراً تنكرونها»**، ومسلم كتاب الإمارة ـ باب وجوب ملازمة جماعة المسلمين عند ظهور الفتن ١٨٤٩.

خَصِمُونَ ﴿٥٨﴾ [الزخرف: ٥٨] رواه الحاكم وغيره[1].

وعلى هذا درج السلف، فكانوا يحذرون من الجدال فيما لا ينفع أشد التحذير. وأيضاً في التحذير من أهله، ومن ذوي الهوى المتبع، والشح المطاع، وإعجاب كل ذي رأي برأيه، كما صحّ من حديث أبي ثعلبة الخشني رضي الله عنه.

- فقد روى اللالكائي[2] بسنده إلى عليّ بن أبي طالب أنه قال:

«إياكم والخصومة فإنها تمحق الدين» اهـ.

- وروي بنحوه عن ابن عباس والحسن بن علي ومحمد بن الحنفية والأحنف ابن قيس والفضيل بن عياض ومسلم بن يسار وغيرهم كثيراً.

فالخصومات تمحق الدين وتُنبت النفاق، وهي ساعة جهل العالم التي يستسيغها الشيطان، ليدرك بها هواه ويثيره على الباطل.

- وروى الآجري في الشريعة ص ٥٦: بسنده عن معن بن عيسى قال:

«انصرف مالك بن أنس من المسجد وهو متكىء على يدي، فلحقه رجل يقال له: أبو الحورية - كان يُتهم بالإرجاء - فقال: يا عبد الله، اسمع مني شيئاً أكلمك به أحاجك، وأخبرك برأي، فقال مالك: فإن غلبتني. قال: إن غلبتك اتبعني. قال: فإن جاء رجل آخر فغلبنا. فقال أبو الحورية: نتبعه: فقال مالك: يا عبد الله بعث الله محمداً ﷺ بدين واحد وأراك تتنقل من دين إلى دين» اهـ.

وقال عمر بن عبد العزيز: «من جعل دينه غرضاً للخصومات أكثر التنقل» اهـ[3].

نعم فقد كانوا رحمهم الله يدفعون المراء ما أمكنهم إلى ذلك سبيلاً.

- وروى اللالكائي كذلك بسنده عن عمر بن الخطاب ص ٦٠ قال:

«أيها الناس، إن هذا القرآن كلام الله عزّ وجلّ فلا أعرفن ما عظمتموه على

---

(١) المستدرك ٢/٢٤٨، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه ووافقه الذهبي، ورواه ابن أبي عاصم في السنة رقم ١٠١، والآجري في الشريعة ص ٥٤.

(٢) انظر رقم ٢١١- ٢٢٤ من شرح أصول اعتقاد أهل السنّة والجماعة ص ٥٤ وما بعدها.

(٣) اللالكائي في شرح اعتقاد أهل السنّة رقم ١٨٢٧.

أهوائكم. فإن الإسلام قد خضعت له رقاب الناس فدخلوه طوعاً وكرهاً، وقد وُضعت لكم السنن فلم يُترك لأحد مثالاً، إلاّ أن يكفر عبدٌ عمد عين، فاتبعوا ولا تبتدعوا فقد كفيتم، اعملوا بمحكمه وآمنوا بمتشابهه» اهـ.

ورواه ابن بطة العكبري في الرد على الجهمية من الإبانة الكبرى ١/ ٢٤٩ (٢٣).

ـ وروى اللالكائي[1] بسنده عن إبراهيم النخعي قوله:

«لَفتنة المرجئة أخوف على هذه الأمة من فتنة الأزارقة» اهـ.

ـ وقال الزهري ـ رحمه الله ـ:

«ما ابتدعت في الإسلام بدعة أضر على الملّة من هذه ـ يعني المرجئة ـ» اهـ[2].

ـ وقال أيوب لسعيد بن جبير: لا تجالس المرجئة، ولما رآه مجالساً أحدهم نهاه[3].

* وسئل ربيعة شيخ مالك عن قوله تعالى: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ [طه: ٥] كيف استوى؟، فأجاب: الاستواء غير مجهول، والكيف غير معقول، ومن الله الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق[4]» اهـ.

ومثله ما صحَّ عن مالك بن أنس إمام دار الهجرة أنه دخل عليه رجل في المسجد وهو يملي فيه حديث النبي ﷺ وقال: ﴿ٱلرَّحْمَٰنُ عَلَى ٱلْعَرْشِ ٱسْتَوَىٰ ۝٥﴾ كيف استوى؟ فأطرق مالك رأسه حتى علته الرحضاء أو غشي عليه، فلما أفاق قال: أين السائل، ثم قال: الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة، وما أراك إلاّ مبتدعاً، فأمر فأخرج من المسجد.

* وعن ابن الديلمي قال: وقع في نفسي شيء من القدر فأتيت أبي بن كعب فقلت له: يا أبا منذر! إنه وقع في نفسي شيء من القدر، وقد خشيت أن يكون فيه

---

(١) رقم ١٠٨٦ وعبد الله بن أحمد ١/ ٣١٣، والآجري في الشريعة ص ١٤٣.

(٢) الشريعة للآجري ص ١٤٤.

(٣) اللالكائي رقم ١٨١٠، والشريعة ص ١٤٤.

(٤) رواه اللالكائي رقم ٦٦٥، وروى نحوه عن مالك ٦٦٣ـ ٦٦٤.

هلاك ديني، فحدثني من ذلك بشيء لعل الله أن ينفعني.

فقال: «لو عذب الله أهل سمواته وأهل أرضه، لعذبهم وهو غير ظالم لهم، ولو رحمهم لكانت رحمته خيراً لهم من أعمالهم، ولو كان لك مثل أحد ذهباً فأنفقته في سبيل الله، ما قبل الله منك حتى تؤمن بالقدر، وتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك، فإنك إن مت على غير هذا دخلت النار. ولا عليك أن تأتي عبد الله بن مسعود فتسأله».

قال: فأتيته فأجاب مثله، ثم حذيفة بن اليمان فأجابني بمثلهما، ثم زيد بن ثابت رضي الله عنهما فقال: قال رسول الله ﷺ: **«إن الله لو عذب أهل سمواته وأهل أرضه. . .»** وساقه[1].

- وقال ابن مسعود رضي الله عنه: «ما كان كفرٌ بعد نبوة إلاّ كان معه التكذيب بالقدر»[2].

- وقال ابن عباس رضي الله عنهما: «القدر نظام التوحيد، فمن وحد الله ولم يؤمن بالقدر كان كفره بالقضاء، نقضاً للتوحيد، ومن وحّد الله وآمن بالقدر كان العروة الوثقى لا انفصام لها»[3].

وسبق قول عمر بن عبد العزيز رحمه الله في القدر ورسالته إلى سائله. وكذا قول الشعبي في مخازي الرافضة. وهذا قليل من كثير مما ورد عن القوم، وجمعه ومظنته كتب أصول السنّة: كالسنّة لابن أبي عاصم، وعبد الله بن أحمد، وكتب عثمان الدارمي، والشريعة للآجري، والإبانة لابن بطة، وشرح أصول السنن للالكائي.

وفي الجملة فموقف السلف من البدع، في هذه النقاط مجملة:

١ـ جهادهم باللسان والسنان، كما وقع من الصحابة للخوارج ولغلاة

---

(١) روى قطعة منه مسلم في أول صحيحه عن ابن عمر، ورواه أبو داود رقم ٤٦٩٩، واللالكائي رقم ١٠٩٣، ١٢٣٢، ١٢٣٩، والآجري ص ٢٠٣.

(٢) رواه الآجري في الشريعة ص ٢٠٤.

(٣) رواه اللالكائي رقم ١٢٢٤، والآجري في الشريعة ٢١٥. وأخرجه عبد الله بن أحمد في السنة، وابن بطة في القدر، والطبراني في الأوسط. وانظر المجمع ٧/١٩٧.

الرافضة. وفي الجملة تنوعت مواقفهم حسب كل عصر وما يناسبه، وحسب كل قضية وما يلازمها ويلابسها في الفكرة والواقع، بما يقطع شرها ويحد خطرها.

٢ـ التحذير من المراء والجدل، وبيان الغلو وتوضيحه في المسائل العينية والتحذير من طوائفه.

٣ـ النهي عن مخالطة أهل البدع والجلوس والحديث معهم.

٤ـ هجر أهل البدع، وعدم نكاحهم والصلاة عليهم.

٥ـ بيان خطرهم وعظم فتنتهم.

٦ـ إلزامهم الحجة بألفاظ قليلة الكلمات تحوي معاني عظيمة؛ وذلك فيمن كان سائلاً مسترشداً.

هذا والله تعالى أعلم، وصلى الله على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً، وافق الفراغ ـ بمنة ربي الأعلى وبركته وتوفيقه وهدايته ـ منه ضحى يوم السبت ١١/٥/ ١٤١٠هـ.

* * *

بسم الله الرحمن الرحيم

المملكة العربية السعودية
رئاسة
إدارة البحوث العلمية والإفتاء
الأمانة العامة لهيئة كبار العلماء

الرقم : ٢/٨٦٢
التاريخ : ١٥/٢/١٤١٧هـ
المشفوعات :
الموضوع :

من عبدالعزيز بن عبدالله بن باز الى حضرة الأخ المكرم فضيلة الشيخ علي بن عبدالعزيز الشبل وفقه الله

سلام عليكم ورحمة الله وبركاته .. وبعد :

فأعيد لفضيلتكم رسالتكم المؤرخة في ٢٠/١١/١٤١٦هـ ومشفوعها بعض مؤلفاتكم لقراءتها وابداء الملاحظات عليها .

وأفيد فضيلتكم أنه لم يتيسر لي قراءتهما نظراً لضيق الوقت وكثرة مشاغلي ، وقد أحلتهما الى فضيلة الشيخ صالح بن فوزان الفوزان لمراجعتهما الذي بدوره كتب عنهما الملاحظات المرفقة مع كتابي هذا وفي ماكتبه فضيلته الكفاية إن شاء الله .

فآمل الاطلاع والاحاطة بذلك سائلاً الله أن يوفقني واياكم لما يحبه ويرضاه وأن يعين الجميع على كل خير إنه سميع قريب ..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .....

المفتي العام للمملكة العربية السعودية

ورئيس هيئة كبار العلماء وإدارة البحوث العلمية والإفتاء

صورة من كتاب سماحة الشيخ عبد العزيز بن باز

إلى الشيخ علي بن عبد العزيز الشبل

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، والصلاة والسلام على رسول الله، نبينا محمد وآله وصحبه ومن والاه. وبعد:
فإن الله سبحانه وتعالى أمر رسوله محمدا صلى الله عليه وسلم وأتباعه بالاستقامة على أمره
من غير غلو ولا تقصير، فقال سبحانه: (فاستقم كما أمرت ومن تاب معك ولا تطغوا
إنه بما تعملون بصير) كما حذر من قبلنا من الغلو في الدين، فقال سبحانه
(يا أهل الكتاب لا تغلوا في دينكم غير الحق) والاستقامة معناها الاعتدال
على شرع الله، والغلو معناه الزيادة في التدين عما شرعه الله، سواء كان غلوا
في الأشخاص، أو في العبادة، أو في الأحكام، لأن الغلو يفضي إلى الخروج من الدين.
وينفر المدعوين ويشوه الإسلام. وفيما حصل من غلو الخوارج وما ترتب عليه
من ويلات شوهت وجه التاريخ خير عبرة وعظة. فقد وقع ما أخبر به النبي
صلى الله عليه وسلم من شأنهم وما بينه من صفاتهم ليحذر الاغترار بهم كل مؤمن.
وكذلك الغلو في الأشخاص أو في القبور آل بأصحابه إلى الشرك بالله عز وجل
كما حصل لقوم نوح لما غلوا في الصالحين (ودا وسواعا ويغوث ويعوق ونسرا)
وكما حصل لمن غلا في الصالحين من هذه الأمة أو غلا في قبورهم من الشرك
بالله عز وجل. وربما جر الغلو في الأحكام إلى تحريم ما أحل الله وتغيير شرع الله
وربما جر إلى تكفير الأمة أو الأفراد من المؤمنين، وربما سبب الملل من
العبادة والمشقة على النفس حتى تترك العبادة وتنفر منها كما قال النبي
صلى الله عليه وسلم: (إن المنبت لا أرضا قطع ولا ظهرا أبقى).
وفي هذا الكتاب الذي بين أيدينا بعنوان (الغلو في الدين، حقيقته، موقف
الإسلام منه، مسائله، آثاره) لفضيلة الشيخ: علي بن عبد العزيز الشبل
معلومات قيمة عن هذا الداء الخطير وبيان خطره والتحذير منه.
جزاه الله خيرا على ما كتب وقدم من نصح ونفع به. إنه سميع مجيب.
وصلى الله وسلم على نبينا محمد وآله وصحبه

وكتبه:

صالح بن فوزان

١٤١٧/٦/١هـ

صورة من كتاب الشيخ صالح بن فوزان

ثبت بأهم المصادر والمراجع

- الإبانة الكبرى - لابن بطة العكبري ت رضا نعسان، ويوسف الوابل، وعثمان آدم، مكتبة الراية بالرياض ط ١.
- اعتقادات فرق المسلمين والمشركين - للفخر الرازي، ت محمد البغدادي، دار الكتاب العربي بلبنان.
- الباكورة السليمانية في كشف أسرار الديانة النصيرية - لسليمان الأفندي، طبعة قديمة.
- البحر المحيط - لأبي حيان التوحيدي، مطبعة السعادة ط ١ عام ١٣٢٨هـ.
- بحوث أسبوع الشيخ محمد بن عبد الوهاب - طبع ونشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض.
- البرهان في معرفة عقائد أهل الأديان - للعباس السكسكي، ت بسام العموش، مكتبة المنار بالأردن.
- بصائر للمسلم المعاصر - لعبد الرحمن الميداني، دار القلم بدمشق، ط ٢ سنة ١٤٠٨هـ.
- بيان المحجة في سير الدلجة - لابن رجب الحنبلي ت غزاوي، مكتبة دار البشائر بلبنان.
- تاج العروس من جوهر القاموس - لمحمد الزبيدي، دار الحياة ببيروت.
- تاريخ المذاهب الإسلامية - لمحمد أبي زهرة، دار الفكر العربي بلبنان، سنة ١٩٨٧م.
- التبصير في معالم الدين - للإمام ابن جرير الطبري، ت علي الشبل، دار العاصمة بالرياض ١٤١٦هـ.
- التبصير في الدين وتمييز الفرقة الناجية عن الفرق الهالكين - لأبي المظفر

الإسفراييني، ت كمال الحوت، دار عالم الكتب ببيروت ط ١ عام ١٤٠٣هـ.
- التسهيل لعلوم التنزيل - لابن جزي الكلبي، دار الكتب الحديثة - بلبنان.
- تفسير القرآن للقرآن - لعبد الكريم الخطيب، دار الفكر بلبنان.
- تفسير الماوردي - رسالة دكتوراة ت محمد الشايع، لم تطبع، بقسم القرآن بجامعة الإمام بالرياض.
- تفسير الماوردي طبع دار الكتب العلمية بلبنان.
- تفسير المنار - لمحمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب سنة ١٩٧٣.
- التكفير جذوره وأسبابه، مبرراته - لنعمان السامرائي، دار المنارة بلبنان سنة ١٣٠٦هـ.
- تيسير العزيز الحميد - سليمان بن عبد الله آل الشيخ، المكتب الإسلامي بلبنان سنة ١٣٩٨هـ.
- التلخيص الحبير - للحافظ ابن حجر، تصوير لبنان.
- الجامع لأحكام القرآن - القرطبي، ط٢ بدار الكتب المصرية سنة ١٣٧٩هـ.
- الحكم بغير ما أنزل الله وأهل الغلو «الجزء الأول» - لمحمد سرور بن نايف، دار الأرقم بالكويت.
- الحسنة والسيئة - لشيخ الإسلام ابن تيمية، ت محمد غازي، مطبعة المدني عام ١٣٩٢هـ.
- حركة الغلو وأصولها الفارسية - نظلة الحيوري - مكتبة ابن تيمية عام ١٤٠٩هـ.
- دعاة لا قضاة - لحسن الهضيبي، نشر اتحاد المنظمات الطلابية الإسلامي سنة ١٤٠٥هـ.
- دعاوى المناوئين لدعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب - لعبد العزيز العبد اللطيف، نشر مكتبة طيبة.
- دراسات في العقائد الإسلامية - لعرفان عبد الحميد، مؤسسة الرسالة بلبنان.
- رسالة في بيان الفرق الضالة - لابن كمال باشا (مخطوطة) من منسوخات القرن الحادي عشر تقديراً.

- زاد المسير - لابن الجوزي، طبع المكتب الإسلامي بلبنان.
- الزينة في الكلمات الإسلامية والعربية - ملحق بكتاب الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية - لأبي حاتم الرازي، ت عبد الله السامرائي.
- السلسبيل في معرفة الدليل - لصالح البليهي، الطبعة الثالثة بالرياض.
- سلسلة الأحاديث الصحيحة - للألباني، المكتب الإسلامي ومكتبة المعارف.
- سنن أبي داود، ت محيي الدين عبد الحميد، تصوير لبنان.
- سنن الترمذي، ت عبد الباقي، دار الفكر بلبنان.
- سنن ابن ماجه مع حاشية السندي عليها، تصوير لبنان، دار الجيل.
- سنن النسائي، تصوير دار الفكر بلبنان.
- السنة - لابن أبي عاصم، ت الألباني، المكتب الإسلامي، لبنان.
- السنة لعبد الله بن أحمد، ت محمد القحطاني، مكتبة ابن الجوزي بالدمام.
- السنة للالكائي - شرح أصول اعتقاد أهل السنّة.
- شرح الأصول الخمسة - لعبد الجبار الهمذاني، نشر مكتبة وهبة بالقاهرة.
- شرح أصول اعتقاد أهل السنّة - للالكائي، ت أحمد حمدان، مكتبة طيبة بالرياض.
- شرح العقيدة الطحاوية، ت الألباني وجماعة، المكتب الإسلامي ط ٨ ١٤٠٤هـ.
- شرح الفقه الأكبر لأبي حنيفة - للملا علي قاري، دار الكتب العلمية، عام ١٤٠٤هـ.
- الشريعة لأبي بكر الآجري، ت محمد حامد الفقي، مطبعة أنصار السنّة بمصر ١٣٦٩هـ.
- الصفات الإلهية في الكتاب والسنّة . . .- لمحمد أمان، المجلس العلمي بالجامعة الإسلامية.
- صحيح ابن خزيمة، ت الأعظمي، المكتب الإسلامي بلبنان.
- صحيح ابن حبان، ضمن الإحسان، تصوير لبنان.
- صحيح الإمام البخاري، ترقيم البغا، دار ابن كثير بدمشق.

- صحيح الإمام مسلم، ترقيم عبد الباقي، مصورة دار الفكر.
- الصلة بين التصوف والتشيع - لكامل الشيبي، دار المعارف بمصر ط٢/ ١٩٦٩م.
- ضحى الإسلام - لأحمد أمين، دار الكتاب العربي بيروت ط ١٠.
- ظاهرة الغلو في التكفير - ليوسف القرضاوي، دار الطباعة والنشر الإسلامية بالقاهرة.
- عون المعبود بشرح سنن أبي داود - للعظيم آبادي، ت عبد الرحمن عثمان - نشر المكتبة السلفية بالمدينة ط٢/ ١٣٨٨هـ.
- عين المعاني في تفسير الكتاب العزيز والسبع المثاني - للسجاوندي، ت حمد اليحيى، رسالة دكتوراه بجامعة الإمام.
- الغلو والفرق الغالية في الحضارة الإسلامية - د. عبد الله السامرائي، دار واسط بالعراق ط٢/ ١٩٨٢م.
- فتح الباري شرح صحيح البخاري - للحافظ ابن حجر، نشر دار الريان للتراث بالقاهرة.
- فتح البيان في خصائص القرآن - لصديق حسن، مطبعة العاصمة، نشر محفوظ.
- الفتح الرباني لترتيب مسند الإمام الشيباني، ومعه بلوغ الأماني - لأحمد البنا، دار الشهاب.
- فتح الرحمن بتفسير القرآن - لعبد الرحمن العليمي، رسالة ماجستير بجامعة الإمام.
- فتح القدير - للشوكاني، تصوير دار الفكر بلبنان.
- الفَرْق بين الفِرَق - لعبد القاهر البغدادي، دار الكتب العلمية بلبنان.
- فرق الشيعة - لأبي الحسن النوبختي، صححه محمد صادق آل بحر العلوم. نشر المكتبة المرتضوية، النجف ١٣٥٥هـ.
- الفرق المفترقة بين أهل الزيغ والزندقة - لعثمان العراقي، ت قوتلو آل.
- الفصل في الملل والأهواء والنحل - لابن حزم، تصوير الدار العالمية بمصر.
- فضائح الباطنية، وفضائل المستنصرية - للغزالي، ت عبد الرحمن بدوي، تصوير لبنان.

- الفوائد المجتمعة في بيان الفرق الضالة والمبتدعة - لإسماعيل اليازجي (مخطوطة) ومنسوخة سنة ١٠٩٣هـ.
- القاديانية - لإحسان إلهي ظهير، إدارة ترجمان السنة بباكستان ط ١٦ سنة ١٤٠٤هـ.
- القادياني والقاديانية - لأبي الحسن الندوي، الدار السعودية للنشر والتوزيع سنة ١٤٠٣هـ.
- القاموس المحيط، مؤسسة الرسالة، الطبعة الأولى ١٤٠٦هـ.
- القضاء والقدر في الإسلام - د. فاروق الدسوقي، المكتب الإسلامي، ١٤٠٦هـ.
- القضاء والقدر في الكتاب والسنة وأقوال الناس فيه - لعبد الرحمن المحمود، رسالة ماجستير في قسم العقيدة بجامعة الإمام.
- قضايا إسلامية معاصرة على بساط البحث - ليوسف القرضاوي، دار الضياء - عمان.
- قطف الثمر في بيان عقيدة أهل الأثر - لصديق حسن، ت القريوتي طبعة ١٤٠٤هـ.
- الكشاف - للزمخشري، تصوير دار المعرفة بلبنان.
- لسان العرب - لابن منظور، دار صادر بلبنان.
- لوامع الأنوار - للسفاريني، الطبعة المصرية، وما صور منها.
- مجمل اللغة - لابن فارس، ت زهير سلطان، مؤسسة الرسالة ١٤٠٤هـ.
- المجموع شرح المهذب - للنووي، وبهامشه فتح العزيز والتلخيص، طبعة إدارة الطباعة المنيرية بمصر.
- مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية - جمع ابن قاسم - طبعة الملك فهد.
- مختار الصحاح - للجوهري، دار العلم للملايين بلبنان.
- المستدرك على الصحيحين - للحاكم، ومعه تلخيص الذهبي، تصوير دار الفكر ببيروت.
- مشكلات في طريق الحياة الإسلامية - لمحمد الغزالي، دار البشير بالقاهرة.
- المعجم المفهرس لألفاظ الحديث النبوي - جماعة من الغربيين، مطبعة بريل وما صور منها.

- معجم مقاييس اللغة - لابن فارس، مكتبة الخانجي، ضبطه عبد السلام هارون.
- المصباح المنير - للفيومي، تصوير بيروت، بلبنان.
- المغني في أبواب العدل والتوحيد - لعبد الجبار الهمذاني، مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٨٠هـ.
- مقالات الإسلاميين - للأشعري، ت محيي الدين عبد الحميد، مكتبة وهبة بالقاهرة.
- منهاج السنّة النبوية - لابن تيمية، ت محمد رشاد، نشر جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية.
- المنهل العذب المورود شرح سنن ابي داود - للسبكي، المكتبة الإسلامية ١٣٩٤هـ.
- الملل والنحل - للشهرستاني، مطبوع بحاشية الفصل لابن حزم.
- نشأة الفكر الفلسفي في الإسلام - لعلي النشار، دار المعارف بالإسكندرية.
- النكت والعيون - تفسير الماوردي.
- النواقض لظهور الروافض - لميرزا الحسني (خطية) مكتوبة سنة ٩٨٨هـ.
- الوصية الكبرى - لابن تيمية، ت ضميري والنمر، مكتبة الطرفين بالطائف.
- مجلة الفيصل، عدد ١٤٣، شعبان ١٤٠٨هـ مقال بعنوان «التطرف الديني عند بني إسرائيل» لعبد الرحمن عبد المحسن.
- مجلة البحوث الإسلامية، عدد ١٤ لسنة ١٤٠٥هـ، بحث بعنوان الإلحاد وعلاقته باليهود والنصارى، لمحمد الشويعر.

* * *

فهرس المحتوى

مطبعة النرجس التجارية
NARJIS PRINTING PRESS
تلفون : ٢٣١٦٦٥٣/٢٣١٦٦٥٤
فاكس : ٢٣١٦٨٦٦ الرياض

AL-GHOLOUI FE ALDEEN
(EXAGERATION IN RELIGION)



«حديث صحيح»

إياكم والغلو في الدين
فإنما أهلك من
كان قبلكم
الغلو في
الدين

ردمك : ٢-٠٩٤-٢٨-٩٩٦٠